

روايات مصرية للجيب



أسطورة

38

ما وراء الطبيعة النصف الآخر



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية الجيب

أسطورة النصف الآخر

ثمة أسرار كثيرة وعلامات
استفهام لاحصر لها تحيط
بالتوائم .. وفي هذه القصة يقابل
د. (رفعت إسماعيل) للمرة الأولى ظاهرة
غريبة بعض الشيء .. إن للتوعمتين
(تجلاء) و (ناهد) سرًا صغيرًا ..
وهذا السر لا يمكن إذاعته هنا
على الغلاف الأخير ،
وإلا ماعاد سرًا ..!



د. أحمد خالد توفيق



العدد القادم :
أسطورة التوعمين

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٥٥ - ٢٨٣٥٥٥ - ٢٨٣١٩٧

فاكس : ٢٨٣٧٠٠

التمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

38

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة النصف الآخر

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/ حمادى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بالحامية - منفذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صديق القحالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت: ٢٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

38

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة النصف الآخر

بقلم :
د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

نمطع وننشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥ - ٢٨٣٥٥٥ - ٢٨٦١٩٧

فاكس : ٢٨٧٧٠٠٢

مقدمة

ها نحن أولاء نلتقى من جديد ، ولكن مع شيء من الغرابة .. لقد تحدثنا فى القصص السابقة عن كل الأشياء الكريهة على غرار (هو) - الذى يمشى فى الظلال - والدمى المسحورة اللعينة ، وفصائل النازيين التى لا ترضى بأن تموت بسهولة ، وكن الهراء من هذا النوع ..

حسن .. يبدو أن الوقت قد حان لننتحدث عن أشياء غريبة .. هناك أشياء كريهة وأشياء رهيبة وأشياء خارقة للعادة وأشياء غريبة ، وقد اخترت اليوم القائمة الأخيرة ..

أغلقوا باب السرداب وتأكدوا من أن الأشباح لن تغادره .. أغلقوا المزلاج بإحكام وتعالوا هاهنا .. تعالوا إلى العجوز (رفعت إسماعيل) ، أستاذ أمراض الدم المتقاعد وهاوى الأشباح الذى أرغمه كل شيء على هذه الهواية ..

هل ستقرءون هذه القصة فى الشتاء ؟ إذن

أضرموا النيران فى الموقد - المدفأة - الراكبة
واتكمشوا جيداً لتنعموا بالدفع ..
هل ستقرءونها صيفاً ؟ إذن أغلقوا النوافذ
بإحكام .. إن شخصاً حياً يغمره العرق لخير من جثة
باردة ..

والآن هل استعدادتم تماماً ؟
أرجو ألا ينهض أحدكم فجأة ليشرب كوباً من
الماء أو .. أو .. لأن هذا يقطع حبال أفكارى كما
تعلمون ..
سأحكى لكم حكاية النصف الآخر ..

★ ★ ★

الفصل الأول : لا أهمية له سوى الحشو ويمكن لسريعى الملل أن يبدءوا بالفصل الثانى

قالت (نجلاء) :

- « الواقع يا د . (رفعت) أن ما أشعر به لا يتجاوز
مجموعة من الخواطر واللمحات والانطباعات التى قد
تكون حقيقة ، وقد تكون وليدة خيال امرأة لم يتعلم
قط كيف يهمد أو ينام ..

« إن لكل قصة بداية .. ومن الخطأ أن نقلب
الغلاف الأخير كى نعرف النهاية لأن مبرر وجود
القصة يتلشى بهذه الطريقة .. وبدايتى كما تعلم
كانت فى (القاهرة) .. فى (شبرا) بالتحديد .. »

« إن أبى موظف بسيط من تلك الطبقة التى
نعتبرها (مستورة) .. فهو لم يرنا مذاق ثراء لكنه
- أيضاً - حماتا من لدغة الجوع ، وكان أباً من
الطراز الذى يمكن أن تضعه فى القاموس ، وجواره
سهم يشير إليه مصحوباً بكلمة (أب) .. هل تعرف

جيل الآباء ذوى الشارب الكث والبطن الكبير . الذين
يعودون للدار ظهراً حاملين الجريدة والبطيخة ،
والعرق يسيل على صلعتهم ؟

وتكون أمى - الريفية البارة - قد أعدت طعام
الغداء ، فيلبس جلبابه ويصلى الظهر ثم نحتشد حول
الطبلية .. كنا من الطبقة التى تملك مائدة طعام ،
لكنها تفضل الأكل على الطبلية . ولم تكن مائدة
الطعام تستخدم سوى للاستذكار .. هل تعرف هذه
الطبعة ؟ حسن !

بعد هذا يجلس أبى فى الشرفة مستمتعاً بفرد
ساقيه على البلاط البارد ، وتأتى أمى بصينية بها
البطيخة مقطعة ، فيبدأ فى التهامها ولا ينسى أن
يحتفظ بالبذور السوداء ، فهى تتيح لهما ساعات متعة
لا بأس بها فى أمسية صيف أخرى ..

« بعد هذا يتجشأ مرة أو مرتين ، ويعلن أن ميعاد
النوم قد حان .. كنا فى ذلك الزمن السعيد حين كان
الناس ينامون عصراً ، ولا ينزلون إلى الشارع بحثاً
عن عمل جديد لزيادة الدخل .. »

« وهكذا .. يجرع جرعتين من القلة الموضوعة

عنى السور . وانتى نقعنا فى الماء المحيط بها بذور
المشمش لتلين . ثم يعن من جديد أن وقت القيلولة
قد حان .. صحيح أننى و (ناهد) لا نرغب فى النوم ..
صحيح أننا ملينتان بالطاقة راغبتان فى مزيد من
اللهو ، لكن كلمة أبى هى حكم لا يرد .. »

انتهيت من رشف قدح القهوة . وبحرص وضعته
على الزجاج .. ثم سألتها وأنا أعود إلى استرخاء
جنستى :

.. « (نجلاء) .. حين جنت هاهنا كنت أحسب أنك
تأخرين لى ما هو أكثر من انطباعاتك عن طفونك .. »
بدورها جرعت من مشروب المياه الغازية ..
ولاحظت أنها تجرع جرعات أكبر مما ينبغى لفتاة ..
لا بد أنها ستتجشأ الآن ..

بالفعل تجشأت ، لكن داخل فمها المغلق ، فانتفخ
خداها للحظة .. ثم قالت :

.. « إننى سمعتهن يقن ما هو أكثر وأطول فى
برنامجك (بعد منتصف الليل) ، ولم تعترض وقتها ..
بل قلت إن كل هذا يضعك فى الجو .. »

بحثت عن رد يفسر هذا التناقض ويحرجها . فلم

أجد .. لذا اثرت الصمت . وأشرت لها كي تستمر فى
قصتها ..

قالت :

- « بعد هذا التحقنا بالمدرسة .. وكنا »

★ ★ ★

وكعادتي قمت بضبط ساعتي على ردود فعل
منتظمة كلما مضت دقيقة أو دقيقتان .. على غرار
(مم ؟) .. (هم م م ؟) .. (آه د !) (هم ؟) ..
(هاها) .. مما يوحى لها بأننى أتابعها بدقة ..
وشرد ذهنى ..

بدا الأمر بمكالمة هاتفية من د . (محمد شاهين) ..
هل تذكرون أستاذ (الأنثروبولوجى) طيب القلب الذى
عرفته بسبب سوء فهم قاتل فى قصة (اكل البشر) ؟
لقد كدت أضربه وقتها ثم انعقدت بيننا صداقة
حميمة إلى حد ما .. فنحن فى عالم لا يحوى أنصاف
الحلول .. إما أن تكون ظالماً أو مظلوماً ، سارقاً أو
مسروقاً ، خادعاً أو مخدوعاً .. لهذا وجدت أننى أميل
إليه لأنه - (محمد شاهين) - مظلوم مخدوع
مسروق دائماً ..

أعرف أن الشخصية القويمة هي التي لا تظلم
ولا تظلم.. لا تخدع ولا تُخدع.. لا تسرق ولا تُسرق..
لكن أين هذه الشخصية اليوم ؟
لهذا وجدت أنتى أميل إلى مصادقة العصفور وليس
الأفعى ..

تلقيت منه مكانمة هاتفية ، قال فيها إنه بحاجة إلى
مشورتى ..

- « لماذا يا أبا حميد ؟ »

- « إن الأمر يتعلق بابنة أختى .. (نجلاء) .. »
وكنت أعرف أن له أختاً جاءت من قرية مباشرة
إلى بيت زوجها فى (شبرا) .. وهى فلاحه طيبة
باسنة لا تعرف شيئاً عن أى شىء ولا يهمها
معرفة ..

- « خيراً ؟ هل هى مصابة بسرطان الدم ؟ »

ثم اعتذرت عن هذه الغلطة فى التعبير .. فلماذا
يطلب أحدهم رأى طبيب أمراض دم إذن ؟ ثم اتضح
لى أن الفتاة تريد الجانب الآخر من شخصيتى : صائد
الأنشباح الهاوى ..

وعرفت أن (نجلاء) فى الثالثة والعشرين من

عمرها .. غير متزوجة .. تخرجت فى كلية الحقوق .. تتدرب فى مكتب محام شهير بلا أجر .. وظروفها المادية لا تفوق ظروف أية فتاة أخرى فى ظروفها !

قال لى (محمد شاهين) :

— « إن (نجلاء) تعاني مشكلة معينة .. ولن أستطيع الكلام أكثر فى الهاتف لكننا بحاجة لى معرفة رأيك .. هل الأمر يقع فى دائرة الخوارق .. أم فى دائرة الأمراض النفسية ؟ »

ابتسمت وقلت متخيراً الفاضلى :

— « لا بد أن (الحاجة) أختك قد قامت بعمل اللازم فى هذا الصدد .. ولا بد أن شيوخاً كثيرين من طراز (الهدهد المصاب بالبواسير) قد رأوا الفتاة .. »
ضحك طويلاً فى سماعه الهاتف ، ثم قال :

— « أنت محق فى استنتاجاتك كالعادة .. لكنهم جميعاً فشلوا حتى إن أختى صارت — مع كثير من الامتعاض — على استعداد لسماع رأى أمثالك .. »
— « إن هذا يملؤنى قلقاً .. لكنى بحاجة لأن أرى الفتاة .. »

- « هل أنت فى القسم غذا ؟ »

- « نعم.. وليكن هذا فى انحادية عشرة صباحاً...»

بعد قليل من الصمت . سألنى فى توجس :

- « أ .. (رفعت) هل سرطان الدم احتمال وارد

حقاً ؟! »

هنا صعد الدم إلى رأسى ، ووضعت سماعة الهاتف

حتى لا انفجر فى وجهه .. إن هذا الرجل لن يكف عن

السذاجة .. كأنها واحب مقدس !

★ ★ ★

وطبعاً - نكم أن تراهنوا على ذلك - كنت قد نسيت

كل شيء عن الموضوع فى الموعد المحدد .. إلى أن

انفتح باب مكتبى ليدخل (محمد شاهين) بوجهه

المبتل عرفاً ، ويلثمنى مائة مرة على خدى .. ثم

يلتقط أنفاسه وقد كاد يصاب بنوبة قلبية . ثم قدمنى

إلى (نجلاء) ..

وكنت قد كونت فكرة مسبقة - لم تخطئ كثيراً -

عن مظهرها . ف (محمد شاهين) لا يمكن اتهامه

بالجمال . وكذلك أخته بالتأكد ..

إذن لن تكون (نجلاء) بارعة الحسب أبداً ما لم

يكن أبوها فى جمال أبطال الأساطير الإغريقية ..

وكانت (نجلاء) متوسطة الجمال حقًا ، لكن لها
ذلك الوجه المريح الذى يبعث فى نفسك الشعور بأنك
تعرفها من قبل ، مع مسحة الاحترام والوقار النفسى
مما يشى بأصل طيب .. (بنت ناس) حقيقة رباها
آلها جيدًا ..

دعوتها للجلوس ، وطلبت العامل كى يحضر
زجاجة مباد غازية وقدحى قهه

- « بل قدح واحد يا (رفعت) .. فأنا سأنصرف
لأن عندى محاضرة .. ثم إن اتصرفى سيتيح لها
حرية الكلام .. »

- « كما تحب .. »

وسرنى التخلص منه لأنه سيزيد الأمور سوءًا ،
ولن يترك لها الفرصة كى تقول كلمة مفهومة
واحدة ..

بعد هنيهة صمت سألتها كى لا تنهمك فى التحديق
فى البساط إلى حد إحداث ثقب به :

- « يمكنك الكلام إذن .. »

هنا جلب لنا العامل ما طلبنا ، ورمى الفتاة بنظرة
خبیثة كأنه قد فهم كل شىء ، وكاد يغلق الباب علينا

عند انصرافه لولا أننى (شخطت) فيه .. لا أحب
التذاكى ولا المتذاكين أبداً ..

عدت أسألها عن قصتها ، وأنا أرجو أن ينتهى هذا
الهراء سريعاً ..

قالت وهى تتحسس زجاج مشروبها البارد فى
شروود :

- « د . (رفعت) .. هناك من يتألم ويفرح ويحلم
بدلاً منى ! »

★ ★ ★

الفصل الثانى : لا أهمية له سوى التطويل ويسكن لسريعى الملل البدء بالفصل الثالث

« فليكن ذكرا يا رب .. ثم ليكن ما يكون بعدها »
لا بد أن عبارة كهذه كانت تتردد فى ذهن الأستاذ
(عبد الجواد) . وهو ينتظر قلقا فى الصالة خارج
غرفة النوم ، نفافة التبغ توشك على أن تحرق أنامله ،
بينما الصرخة الطويلة المعبدة تدوى من وراء الباب
المغلق .. والداية (أم أيمن) تصاحب هذا بإيقاعها
الخاص (يائنه ! خليكى تخلصى !) .. فتزداد
الصرخات شراسة . ويضع د. (محمد شاهين)
شقيق زوجته كفه على معصمه يدعو للهدوء ..
الصالة كنيبة ضيقة . تتناثر الأطباق على مائدة
الطعام .. فقد باغتت الأم الولادة الأم وهى تلتهم
عشاءها . وكان فى ذلك الزمن حريصين على تناول
العشاء على المائدة . قبل أن يصنع له الأسطى (طه)
تلك الطبلية العتيدة التى صارت ملتقى الأسرة .. فى
كل ركن من الصالة تجد منشفة ملقاة ، أو سروال

منامة خلعه وهو يرتدى ثيابه على عجل . أو خرقة
لا تدرى دورها بالضبط لكنها هناك ..

من المطبخ تهرع (أم بلبل) حاملة وعاء الماء
الساخن ، متجهة إلى غرفة النوم .. لا ولادة دون
ماء ساخن كما أنه لا حافلة دون نشال .. ويستمر
الصراخ .. ثم يدوى صوت عواء المخلوق الصغير
الذى - لأول مرة من تسعة أشهر - يطرد من دفء
الرحم وظلامه المريح للأعصاب ..

وتخرج الداية بوجه مكفهر بعض الشيء لتصرح
الأب بأنه رزق بطفلة حسناء .. لا .. بل بطفلتين !
لقد كانت المرأة حاملاً فى توعمين ..

إن الأمور تسير هكذا دومًا .. أكثر الرجال ولعًا
واشتياقًا لإنجاب الذكور يلقون عقابهم فوراً .. لكن
(عبد الجواد) كان فى حالة تفكك نفسى وجسدى
كامل ، فلم يجد فى روحه ما يسمح بالشعور بخيبة
الأمّل ، بل وجد الدموع ولا شيء سواها ..

طفلتان ! مصيبتان على الأرجح ، لكنه سيجد
الوقت الكافى للأسى فيما بعد ، أما الآن فالمهم
الاطمئنان على البانسة الغالية ..

وكانت المرأة بخير ، وقد راحت (أم بلبل) تردد عبارات التهنئة الممزوجة بالعزاء ، وتمليه قائمة لا بأس بها بلوازم المولودتين .. كان هذا عصرًا لا يعيش الطفل فيه ما لم يشرب المحيطون به (المغات) .. ولا تعيش النفساء ما لم تلتهم ثلاث دجاجات يوميًا ..

وكان (عبد الجواد) يعرف كل هذا ، وقد أعد كل شيء للحصول على نصيبه فى الجمعية التى نسقها مع زملائه فى العمل ، ويتقاضاه فى هذا الشهر بالذات .. إن أربعين جنيهًا لمبلغ فادح حقًا يسمح بشراء كل ما يحتاج إليه الموقف ..

وتسأله الداية عن الاسم الذى سيختاره للتوءميتين ، فيقول دون استشارة الزوجة (وهذا شيء طبيعى .. إنه هو الأب فما دخل الأم فى الموضوع ؟) :

- « سيكون اسم واحدة (نجلاء) والآخرى (ناهد).. ولكن كيف أميز بينهما ؟ »

لكن حين رأى الرضيعتين أدرك أن سؤاله لا مجال له ها هنا ، فالتوءمتان غير متشابهتين .. وكانت واحدة منهما تملك وحمة كبيرة فى فخذها ، ولها

رأس مستطيل غريب الشكل .. أما الأخرى فكانت
حسناً لو أمكننا قول هذا عن رضيع ملوث بالدم ،
ما زال وجهه مجعداً كقرد صغير ..

ذات الرأس المستطيل ستحمل اسم (نجلاء) ..
أما الأخرى فستحمل اسم (ناهد) .. لم يكن ضليعاً
فى اللغة العربية ، لذا افترض أن اسم (ناهد) يوحى
بجمال أكثر مما لاسم (نجلاء) .. ثم إن تماثل حرفى
(النون) بدا له موسيقياً إلى حد لا يوصف ..

وراح يلوك الاسم بين شفثيه كمن يتلمظ :
- « (ناهد عبد الجواد) .. (نجلاء عبد الجواد) ..
لا بأس .. لا بأس على الإطلاق ! »

★ ★ ★

وواءء ! وواءء !
وحتى فى ساعات الفجر الأولى ..

★ ★ ★

تقول (نجلاء) :
- « لم تلحظ واحدة منا شيئاً غير معتاد فى
حياتها .. »

لقد كبرنا كأي توعمين آخرين .. ولم يكن

بيننا تشابه لهذا نجونا من الملحوظات انسخيفة
المعهودة لدى الكبار ، ولم تحتر المعلمات بشأننا ،
ولم تحاول أوى أن تميزنا بعلامة ما ..

وكما هى العادة ، تشابهنا فى بعض الصفات ..
لكن اختلافنا كان أشد ، وهذا طبيعى لإظهار التضاد
بيننا .. إن اللون الأسود لا يصير أسود إلا لأن هناك
أبيض .. والسماء ليست سماء إلا لأن تحتها أرضا ..
هذا طبيعى ..

من البداية بدا للقوم أننى اتخذت نموذج الفتاة
الذكية اللامعة المنكبة على دروسها ، لكنها متوسطة
الجمال منطفنة تماما اجتماعيًا ، وبكثير من العسر
يمكنها أن تنطق ثلاث كلمات ذات معنى ..

أما (ناهد) فاتخذت نموذج الحسنة العابثة خالية
الرأس ، التى تعيش أتعس لحظات حياتها أمام الكتاب ،
وتلقى - برغم هذا - كل تدليل المعلمات .. إن
المعلمات يتصرفن بطريقة مختلفة مع الطالبة الجميلة
مهما بلغ غباؤها ، ومهما بلغ حبهن للعدل ..

وهكذا .. كنت أحظى أنا بالتشجيع الدراسى بينما
تحظى هى بكل شيء آخر .. وفى المنزل كان لها



أما (ناهد) فاتخذت نموذج الحسناء العابثة خالية الرأس ، التى
تعيش أتعس لحظات حياتها أمام الكتاب ..

مكان خاص ومنزلة متميزة لدى أبى .. وكان يقول لها فى غضب مصطنع :

- « ليت لك ربع عقل أختك ومثابرتها .. »

لكن وجهه كان يقول العكس .. كان يقول إنه حقاً ليس غاضباً تماماً كما يدعى .. كان يقول إنه - كأكثر الرجال - لا يؤمن بأهمية عقل المرأة .. انهم هو وجهها .. وفى هذا الصدد نالت (ناهد) درجة الامتياز أما أنا فنجحت بصعوبة ..

وأحصل على درجة ٩٧ بالماناة فى الشهادة الابتدائية ، بينما تحصل هى على ٧٦ بالماناة ..

تزغرد أُمى وتوزع أكواب (السوبيا) الباردة على الجيران ، وتقول كأنما تمدحنى :

- « إن (نجلاء) تملك عقل رجل ! »

فتقول الجارات الشمطاوات :

- « و (ناهد) تملك وجه امرأة .. ثم إنها لم

ترسب .. لقد نجحت نجاحاً لا بأس به أبداً ! »

كنا طفلتين بينما هذه المشاعر تمزق روحى ..

الآن دخلنا مرحلة المراهقة ، فكيف بذات المشاعر

إذن ؟

كلا يا د . (رفعت) .. لا تظلمنى .. أنا لم أحسد
أختى ولم أتمن قط أن يحترق وجهها بالحمض مثلاً ..
كما لم أتمن أن يكون لى وجهها .. كل ما هنالك هو
أننى شعرت بنفاق وغباء هذا المجتمع الذى يحكم
على الناس بمجرد النظر لوجوههم .. يمكنك — وأنت
لست جميلاً يا د . (رفعت) — أن تبرع فى عملك ،
وأن تكون طاهراً سامياً ذكياً ، وأن تضحك للجميع
وتغسل وجهك كل صباح ، لكنهم — صدقتى — لن
يضعوك أبداً فى مكانة د . (رافت) زميلك هاهنا ..
و (رافت) هذا لا يملك أية موهبة سوى ملاحظة قد
لا يستحقها ..



كانت (ناهد) حمقاء ، وحسبت أن مهمتها
الوحيدة فى الكون هى استعراض جمالها الفاتن .. أما
أنا فكانت كالقطار السريع لا أعرف لى طريقاً خارج
القضيب الحديدى الواصل بين بيتى والمدرسة ، أقطعه
فى دقائق وأنا أنظر إلى قدمى ، فلو استبدلوا بحراً
بشارع (شبرا) لما لاحظت ذلك ، لكن (ناهد) كانت
ستلاحظ حتماً ..

وفى المنزل بات واضحاً أن (ناهد) ستتزوج قبلى ..
فى الغالب بعد انتهاء دراستها الثانوية ، لأنها ليست
من الطراز المناسب للتعليم .. ثم إن الخطاب بدعوا
يفدون إلى دارنا وهى بعد فى السنة الأولى من
المدرسة الثانوية !

وهو حدث جل كفيل بجعل صاحبتة ملكة متوجة
فى المدرسة الثانوية ، حيث لا كلام لدى البنات
المفعمات بالأحلام إلا عن هذا الغز الأسطورى
الرهيب : العريس ..

وفى الصف كانت (ناهد) قد أنشأت لنفسها
عصابة صغيرة ، من الفتيات المدرسات لجمالهن ،
وكن يجلسن فى نهاية الفصل يمارسن حيلاً صغيرة
على المدرسين ، أو يمزحن بصوت خافت ولا يتابعن
حرفاً مما يقال ..

أما أنا فكنت أجلس فى موضع متقدم .. وأثبتت
ذاتى بأن أكون أفضل وأذكى ، ولا أترك سؤالاً يلقيه
المعلم إلا أجبتة .. عندها كان ينظر للصف الخلفى
ويقول فى تهكم :

« ليت لك ربع عقل أختك يا (ناهد) .. »

فيجىء صوتها الضاحك من خلفي :
- « لقد اختارت هي العقل واخترت أنا الجمال ،
ولم يعد بوسع واحدة منا أن تتراجع ! »
فيهز المعلم رأسه .. إنه يخجل طبعاً من أن يعترف
بصحة هذا .. لكنه يرى ويعرف جيداً .. لقد
تقاسمنا كل شيء كما تقول (ناهد) ولا يوجد
تفسير آخر ..

★ ★ ★

لكننا لم نتشاجر قط ، ولم نكن قطاً وفاراً كما
تتصور ..

كنا شقيقتين .. صحيح أنني كنت أملك صديقتي
وكانت هي تملك صديقاتها ، وكان لي عالمي وكان
لها عالمها .. لكننا - في موعد الانصراف - كنا
ننصرف معاً . ليبدأ الجزء الثاني من يومنا ..
خالياً من المضغائن لكنه - كذلك - خال من المودة
الحارة .. إن السلام لا يعنى الحب دائماً .. قد يعنى
(عدم الحرب) كذلك ، وكان هذا هو السلام السائد
بيننا ..

ثم دارت الأيام - التعبير المبتذل القديم - حاملة لنا

بعض المسرات المحدودة كأخ ذكر جاء على غير موعد ، وبعد أعوام طويلة من عدم الإجاب .. أى أننى أكبر هذا الأخ بخمسة عشر عاماً أو أكثر قليلاً ، وكانت هناك بعض الأحزان التى لا تخلو منها حياة أية أسرة كوفاة عمى ، وإصابة أبى بنوبة قلبية شفى منها لكنه لم يعد قط كما كان .. وكانت فكرة طفله الصغير جداً الذى يوشك أبوه على الرحيل تؤرق أبى كثيراً ..

- « أولاد الشَّيب يتامى ! »

هكذا كان يردد دائماً وهو يرمق الصغير يقرقر ضحكاً ، أو يهرول فى الصالة بمشيته الحديثة المضحكة المترنحة ..

والآن انتهت دراستنا الثانوية . ولم يكن ما حققته فيها يماثل ما انعقد على من أحلام .. ربما كان اضطراب حالتى النفسية أو اضطراب الظروف هو السبب .. كنت أتمنى أن أكون مهندسة لكن لم تبق لى سوى كلية الحقوق ، وشتان بين أن تدخلها لأنك تحب القانون وأن تدخلها لأنه لا يوجد سواها ..

أما عن (ناهد) فمن الطبيعي أنها رسبت .. كلنا
كنا نعرف ذلك وننتظره كي تبدأ الجزء الثانى من
حياتها ..

- « إن (ناهد) لا تصلح لتلقى العلم .. دعونا
نزوجها إذن »

قالها أبى كأنما يضيف جديداً . وكأن هذا لم يكن
مخطط حياة (ناهد) منذ كانت فى السادسة من
عمرها ..

وينفتح الباب ليدخل (محمود شهاب) .. مهندس
فى الثلاثين من عمره .. له ملامح (رشدى أباطة)
لو أن هذا الأخير كان أحول العينين قليلاً ، ولم يكن
من هذا الطراز الحديث الباحث عن عقل المرأة ، أو
المؤمن بدور المرأة فى المجتمع .. كان يريد زوجة
تسر عينيه وكفى .. والحق أنه كان أحق .. إن
(ناهد) لا تصلح زوجة على الإطلاق .. إنها لوحة
جميلة يعلقها فى غرفة الصالون لا أكثر ، وعليه بعد
هذا أن يبحث عن زوجة حقيقية !

لكن (محمود) تزوج (ناهد) .. وكان بيتهما
السعيد فى (حلوان) ، مما جعلهما بعيدين

عنا حقًا ، وكانت حياتهما هائلة على الأقل في
بدايتها .. لم يكن شيء غريب في كل هذا .. لأن
القصة لم تبدأ بعد .

★ ★ ★

الفصل الثالث : لا أهمية له سوى التحويل ويمكن لسريعى الملل البدء بالفصل الرابع

قلت لـ (نجلاء) :

- « كل هذا جميل ويسرّنى سماعه ، لكنى مازلت بانتظار لحظة ظهور مصاص الدماء ، أو انفتاح قبر عمك لتخرج منه جثتها المتآكلة جاحظة العينين ..
لقد اعتدت سماع ورؤية هذه الأشياء ، وإبه ليثير قنوطى أن »

- « سيخيب أملك إذن ! »

قالتها وهى تضع زجاجة المياه الغازية على الزجاج ، وتتجشأ مرة أخرى بطريققتها المكتومة التى تكور خديها ، وأردفت :

- « لن تجد شيئا من هذا فى قصتى .. إننى أتحدث عن .. عن أطيفام المشاعر ! »

أطيفام المشاعر ! إنها الثانية عشرة ظهرا وأنا مرهق جانع ثم تجيء هذه لتحدثنى عن أطيفام

المشاعر .. ساعة كاملة ولما يبذل قصتها رأس
ولا ذيل .. إنها - ببساطة - تريد أن تشتم أختها
الحسنة (ناهد) وأن أوافقها على ذلك وإلا كنت
وحشاً جاهلاً ..

أمرى لله .. أكملى يا (نجلاء) هاتم ..

★ ★ ★

قالت (نجلاء) :

- « وفى يوم كنت عاندة من الكلية بأسلوب
القاطرة الشهير المأثور عنى .. ذات المشية التى كنت
أمشيها وأنا فى المدرسة الابتدائية ، ولا فارق سوى
أننى تعلمت ركوب الحافلات المزدحمة والوثب فى
أثناء سيرها ، واحتضان حقيبتى كى لا يدس أحدهم
يده فيها ..

كنت أعبر الميدان المزدهم أمام الجامعة حين .
حين ماذا ؟

لا أرى بالضبط .. يبدو أننى طرت فى الهواء وأنا
أسمع صوت فرامل حادة عنيفة مولولة ، ثم سقطت
كجوال القطن على الأسفلت .. ولم أصدق أننى أستحق
كل هذه الضوضاء ، وأن هذا يحدث لى أنا بالذات ..

كنت خجولا أمقت لفت الأنظار ، حتى لو كان هذا
بسبب حادث سيارة ، لهذا سارعت بالنهوض ألملم
بثوبى وافتش عن حذائى الذى طار فى مكان ما ،
ورأيت صاحب السيارة يصيح مغضباً :
- « حمقاء ! ألا تفتحين عينيك أبداً ؟ »

لم أرد لكن المحتشدين المتحمسين قاموا باللازم ،
وسرعان ما ابتعدت عنهم فى توتر كأئذى حيوان
غريب برى .. لست من الطراز الذى يقف ليولول فى
هستيريا أو يلوم السائق .. إننى حية وكل أطرافى
تتحرك .. فلا داعى لمزيد من الضوضاء أرجوكم ..
وهرعت أتوارى باحثة عن الحافلة التى ستعيدنى
إلى البيت ..

فقط حين ابتعدت ، أدركت أن كل عظامى تؤلمنى ،
وحين عدت للدار لم أخبر أحداً بما حدث ؛ لكنى -
أمام المرأة - رأيت الكدمات فى كل صوب .. حقاً لقد
كانت صدمة قوية ..

نمت كالقتلى حتى منتصف الليل ، ثم أيقظتنى أمى
حاملة صحفة عليها طعام العشاء وكوب لبن ، ولثمت
جبينى وقد شعرت بأن مرضاً ما قد بدأ يغزو جسدى ،

وكل الأمهات - كما تعلم - يعتقدن أن كل الأمراض تبدأ وتنتهى بالبرد .. لماذا أصرَ على ارتداء هذا الـ (بول - أوفر) الخفيف بينما اضطر للخروج فى السابعة صباحاً كى ألحق بالكلية ؟

قالت لى كذلك إن (ناهد) وزوجها كانا فى زيارتنا الليلة ، وإن (ناهد) كانت مريضة بدورها وكان كل عظمة من عظامها قد تم تهشيمها بيد الهاون .. وقد رفض الزوجان أن يوقظانى ..

ثم أعربت عن حناتها الأمومية قائلة :
- « ألا ليت مصيبة تأخذكما معا لأستريح من قلقى عليكم ! »

وضربت كتفى فى غلَ ثم تمنيت لى ليلة طيبة .. والاستذكار ؟ فليذهب إلى الجحيم .. صحتك أهم من أى شىء ..
وأطفأت النور ..

★ ★ ★

فى الأيام التالية يا د . (رفعت) لم ألحظ شيئاً غير طبيعى .. إن الآلام تحدث لنا جميعاً وأكثرها بلا تفسير ..

كم مرة شعرت فيها بأنك . أو وخزة فى
صدرك . أو رأيت كدمة لا تفسير لها على ذراعك ؟
كم مرة شعرت فيها بصداخ لا تفسير له ؟ كلها أشياء
تحدث ولا تستحق التعليق ..

فى نهاية الأسبوع قمت مع أبى بزيارة (ناهد) فى
دارها فى (حلوان) .. إنها رحلة شاقة حقاً . لهذا
لا نقوم بها إلا مرة فى الشهر ، ولم تكن حياة (ناهد)
ذات منغصات خاصة أكثر من أية حياة زوجية
أخرى ..

كانت (ناهد) مدللة لم تتحمل مسئولية قط ، ولم
تعد كوب شاى لنفسها . ثم أدركت الحقيقة المريعة :
إنها لن تظل أميرة للأبد .. إن زوجها المهندس
المكافح يحتاج إلى ربة بيت كذلك !

كانت لديها طفلة صغيرة فى العاشرة من عمرها
تعينها إلى حد ما ، وهى خادمة من قرية أمى .. لكن
ماذا بوسع طفلة أن تفعل أمام هذا الكم المريع من
المهام ؟ الغسيل .. الطهى .. الكى .. التنظيف ..

ووسط هذا كانت (ناهد) تحاول أن تقنع نفسها أنها
سعيدة .. لكن خيبة الأمل كانت جليلة على وجهها ،
وللمرة الأولى فى حياتى شعرت بأنها تحسدنى !

جنس أبى مع (محمود) فى الصالة يثرثران ،
ويقرران سياسة الدولة وهل ينبغى على (عبد الناصر)
أن يوقف حرب الاستنزاف أم لا ، بينما رحت أساعد
(ناهد) فى الغسيل .. لقد ابتاع لها (محمود)
غسالة ثياب كهربية من ذلك الطراز الرهيب الذى لم
يكن هناك سواد وقتها ..

وكانت (ناهد) واقفة على يسار الغسالة ، تمدّ
يدها بالماسك الخشبى لتلتقط قطعة قماش طافية فوق
سطح الماء ، لكنها تعثرت واضطرت إلى الاستناد إلى
جسم الغسالة المعدنى .. هنا يجب أن أقول إنها كانت
حافية القدمين ، وإن سلكاً ما كان عارياً فى هذا
الجهاز الغير محكم الصنع .. و

هى يى يى يى يى !

دوت صرختها المعذبة الشنيعة المليئة بالانتفاض
والاهتزاز ، ورأيتها تتصلب دون أن تتخلى عن
تمسكها بالمعدن ، و

فى اللحظة التالية شعرت بقوة هائلة ترجنى رجاً
من الداخل .. يد عملاق تعتصر قلبى وتحاول اقتلاعه
منى أو اقتلاعى منه ..



في اللحظة التالية شعرت بقوة هائلة ترجني رجاً من الداخل ..
يد عملاق تعتصر قلبي وتحاول اقتلاعه مني أو اقتلاعي منه ..

وصرخت بدورى ..

وفى غمرة الألم أدركت أن أرض الحمام المبتلة قد
أغلقت الدائرة الكهربائية المارة بجسدنا .. وكنت
حافية القدمين كذلك ..

إته .. إته المو .. و .. و .. ت !

سريع التصرف كما يحدث فى السينما — أليس
شبيها بـ (رشى أباطة) لولا بعض الحول ؟ — اندفع
(محمود) إلى الحمام ليرى المشهد العجيب ..

ودون أن ينتظر ثانية للفهم وثب إلى لوحة
(المنصهرات) الكهربائية المجاورة للحمام ، فانتزع
الأجسام الخزفية كلها وألقاها أرضاً ، واتسّطع التيار
الكهربى عن المنزل ..

وفى اللحظة التالية سقطنا على الأرض معا
كجلمودى صخر حطهما السيل من عل ، كما لا بد أن
(امرؤ القيس) كان سيصفنا .

بعد هذا كان المشهد التقنىدى : أبى يذلّك وجهى
ويلدغه ، بينما (محمود) يسقى زوجته بعض الماء ..
وكلانا — أنا وهى — على الأرض المبتلة باردتى
الأطراف زرقاوى الشفاد ..

فيما بعد قال (محمود) فى عصبية :

— « من الحمق أن تمدَّ المرأةَ يدها إلى جهاز كهربى ، وهى حافية القدمين فوق أرض مبتلة .. إن أى حمار جرَّ يعرف هذا جيداً بالسليقة .. »

وقال أبى وهو يتحسس صدره فى قلق :

— « لقد كدت أفقدكما فى ثانية . نقد قدر الله ولفظ بنا .. »

لكن (محمود) ظلَّ يرمق أرض الحمام فى فضول ، ثم قال :

— « الغريب أن الماء لا يصل إلى حيث (نجلاء) .. وإبنى لأسائل نفسى عن سبب الـ »

— « إنها الكهرباء ! »

قالها أبى كأنما هى إجابة تغنى عن أى شيء ..

عاد (محمود) يقول :

— « لقد استكملت (ناهد) الدائرة الكهربائية حين لمست المعدن ، لكن ما الذى لمستَه (نجلاء) ؟ ما الذى استجدَّ بالنسبة لها ؟ »

قلت فى إنهاك :

- « حَقًّا لَا أَجِدُ تَفْسِيرًا .. لَعَلِّي لَامَسْتُ جِسْمَ
الْغَسَّالَةِ دُونَ أَنْ أَلَاظَ ذَلِكَ »

مِنْ جَدِيدٍ قَالَ أَبِي مِنْهَيًّا الْكَلَامَ :

- « إِنَّهَا الْكَهْرَبَاءُ .. لَا تَسْأَلُ أَبَدًا عَنِ الْكَهْرَبَاءِ .. »
لَكِنْ (مُحَمَّدٌ) غَمَغَمَ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ وَهُوَ يَرْمُقُ
أَرْضَ الْحَمَامِ :

- « حَقًّا .. مَا زِلْتُ لَا أَفْهَمُ .. »

لَا أَفْهَمُ ..

★ ★ ★

الفصل الرابع : لا أهمية له سوى الإطنا

ويمكن لسريعى الملل أن

يبدءوا بالفصل الخامس

قالت (نجلاء) :

- « مرض غريب بدأ ينتابنى فى الأشهر التالية ..
وهو مرض غامض حقاً يغلب الظن أن كتب الطب لم
تصفه .. »

سألتها وقد بدأت القصة تثير شغفى :

- « صفى لى الأعراض . »

تهدت وتحسست قرطها المتدلى ، وقالت :

- « دوار شديد .. كل شىء لا يثبت فى موضعه ..
حياتى كلها حالة من لحظات ما بعد دورانا المستمر حول
أنفسنا فى الطفولة .. ثم القىء .. القىء عند الاستيقاظ
من النوم ، وعند التفكير فى الأكل أو شم رائحته ..
ثم ذلك الاشمزاز غير العادى من اللحوم .. أمقت
اللحم حتى لو كان صورة فى مجلة أو ذكرى ،
وتتحرك العصارة الحمضية من معدتى متجهة لأعلى
مهددة بالانفجار .. »

قلت أطمئنها ، وأنا أنتقى كلماتي جيداً :

- « يا صغيرتي إن سرطان المعدة احتمال وارد ، لكن لا تدعى التفكير فيه يفسد حياتك ، ربما لا يكون الأمر سرطاناً برغم كل شيء ! »
ابتسمت ، وغمغمت :

- « حقاً يا د . (رفعت) .. إن كلماتك كالبلسم على روعي .. لم أفكر في هذا الموضوع قط .. وما هي الاحتمالات الأخرى ؟ »

ابتسمت كي أوحى لها بالهدوء ، وقلت في رقة :
- « إن القىء الصباحي يشير إلى الفشل الكلوي بشدة .. وهو - مع شحوب بشرتك - احتمال لا يمكن استبعاده .. لكن لا تدعيه يجعل حياتك جحيماً .. يمكننا إجراء اختبار معملى بسيط كي »
ضحكت طويلاً فلم أفهم سبب ضحكها .. ثم عادت تسألني في خبث :

- « لا احتمالات أخرى ؟ »

فكرت قليلاً .. ثم قلت في ملل :

- « الهستيريا طبعاً وهي واردة جداً .. خاصة بالنسبة للفتيات المحبطات عاطفياً - ولا أعنيك أنت

بالبات بهذا - وطبعاً هناك احتمال الحمل لكنه مستبعد
هنا .. كلا .. لا تفكرى فى أورام المخ بتاتاً ..
لا يوجد لديك صدادع ولا ذلك القىء (القاذف)
الخاص بأورام المخ .. لو كان ما لديك ورماً بالمخ
لكنت أنا حماراً .. »

عادت تضحك ، وقالت :

- « د . (رفعت) ! إنك تملأ حياتى حبوراً بكل هذه
الاحتمالات البهيجة .. على كل حال لقد فشل كل
الأطباء فى معرفة مصدر الخطأ .. وشربت براميل
كاملة من أدوية القرحة المعدية الشبيهة بالجير ،
دون جدوى طبعاً .. لقد انتهت هذه الأعراض بعد
ثلاثة أشهر ، والسبب فى ذلك هو أنها قررت أن
تنتهى ! »

فكرت فى الأمر ملياً ، وكدت أعلق ثم أشرت إليها
كى تواصل قصتها ..

قالت وهى تحقق فى البساط :

- « بعد ستة أشهر من هذا كانت أعراض ضيق
التنفس ترهقنى رهقاً شديداً .. كأن ثِقلاً يجثم على
صدرى مانعاً حجابى الحاجز من الحركة .. وفجأة

بدأت أعراض التنفس تزول لتبدأ أعراض المئانة :
منات المرات أدخل دورة المياه ، وأنهار من البول
لا تفسير لها سوى مرض البول السكرى .. »

- « وطبعاً لم يتضح أنك مصابة به .. »

- « بالطبع .. لقد حار الأطباء فى تفسير كل هذا ،

وحار الشيوخ مطلقوا البخور الذين استعانت بهم

أُمى .. إن أكثر هؤلاء نصابون على كل حال .. إن

الشيخ ذا (السر البائع) حقاً لا يطلب عشرين جنيهاً

ودجاجة أجراً له .. »

سألتها وقد بدأت أفهم ما يحدث :

- « وهل كنت تشعرين بحنين لشيء ما ؟ اشتياق

لنوع معين من الطعام ؟ »

ابتسمت فى خبث ، وقالت :

- « تسأل عن (الوحمة) يا د . (رفعت) ؟ إننى

عذراء لم يمسنى بشر قط .. »

- « إن قصتك كلها تفسرها لفظة واحدة :

الحمل .. لكننى لن أقولها .. »

قالت وقد سرّها أننى بدأت أفهم :

— « ثم فى تلك الليلة الرهيبة ، راح أعنف ألم
يمزقتى .. ألم جعلنى أصرخ مراراً وأعض الوسادة
وأبكى .. وقد راح أبى وأمى يحاولان جعلى أهذا ..
سقتنى أمى بحاراً من (الكراوية) ، وهرع أبى يبحث
عن جارنا فى الحى (سيد) وهو ممرض فى
المستشفى العام .. »

« فيما بعد وصفت أمى صراخى وآلامى بأنه
كصراخ وآلام من تلد .. وقد أثار هذا حيرتها ، فمن
الواضح أننى لا ألد ، لكن هذا الصياح المألوف ..
هذه الوتيرة الواحدة للأتين .. لحظات الاسترخاء بين
ألم وآخر .. »

« وفى هذه اللحظات جاءت (أم بلبل) جارتنا ..
لقد شاخت وصارت قنطاراً من الدهن لكنها تحاملت
على نفسها لتبلغنا بالمكالمة الهاتفية التى وصلتها ،
فهااتفها هو الهاتف الوحيد فى البناية .. كانت
المكالمة تحمل أخباراً سارة : لقد أنجبت (ناهد)
طفلاً ! »

جلست على حافة مقعدى ، وقد بلغت بى الإشارة
مداها ، وصحت :



«ثم فى تلك الليلة الرهيبة ، راح أعنف ألم يزقنى .. ألم
جعلنى أصرخ مرارًا وأعض الوسادة وأبكى» ..

- « (ناهد) كانت حاملا ! لم تقوينى نى هذا ! »
- « لأنك لم تسألنى ! » وهو حمل تأخر كثيرا على
كل حال .. »

- « وكانت ولادتها فى الوقت ذاته ؟ »
- « حقا .. لقد كانت ولادة سريعة جدا وغير
متوقعة بالنسبة لبكرية مثلها .. كنا ننتظر أن تلد بعد
أسبوع . ولم تكن نرتاب فى شىء حين أومنا للفراش
ليلاً .. لو كانت أمى تعلم لظلت بجوارها فى (حوان) ..
إن الأمهات من طراز أمى يكرهن أن يضيعن مناسبة
كهذه .. »

قنت لها وأنا أنهض لأذرع الغرفة متوترا :

- « وهكذا اتضح كل شىء لك .. »

- « طبعا .. »

- « وهل يعلم أبواك هذا ؟ »

- « لا .. ولن يفهما لو أخبرتهما .. »

- « و (ناهد) تعلم ؟ »

- « طبعا .. لقد أمكنها أن تتذكر منات التفاصيل

الصغيرة التى لم تدرك أهميتها وقتها .. »

- « وبالنسبة لعلمين أعراض حملها بدقة ؟ »

- « بالتأكيد .. لقد شعرت بكل ما وصفته لك .. »
دسست يدي في جيبى ، ورحت أردد بلا كلل :
- « غريب ! غريب ! »

★ ★ ★

قالت (نجلاء) :

- « حقًا .. كل هذا غريب .. لكن الأمر يبدو طبيعياً جدًا حين تكون أنت صاحب هذه الأحاسيس .. ولا تكف عن التساؤل : ربما هو وهم .. ربما مصادفة .. ربما خيل إلى أنني أشعر بكل هذا .. لماذا ؟ لأن أشياء كهذه لا تحدث أبدًا .. »

ابتسمت بدورى ، وجلست فى المقعد المواجه لها لأشعرها بنوع من الحميمة وقلت لها (وإن كان أكثر الكلام لنفسى) :

- « بالعكس يا صغيرتى .. إن الاتصال النفسى والمعنوى بين التوأمين لأمر معروف وقديم ، وثمة اتصال آخر أقوى وأكثر وضوحًا هو اتصال الأم بابنها .. من منا لم يمر بموقف كهذا ؟ تتألمين أو تحزنين ثم تعودين لأمك ، فتصارك بأنها كانت تشعر باتقباض شديد ، فى الوقت عينه الذى مررت فيه بتجربتك غير السارة .. »

بعد هذا بأعوام قرأت فى كتاب للأستاذ (أنيس منصور) أن مدير معهد (الكشف عن الكذب) فى (أمريكا) حكى عن أم آلمتها بطنها بشدة ، وفى المستشفى بحثوا عن التهاب فى زاندها الدودية فلم يجدوا .. بعد ساعات دق جرس الهاتف وكانت ابنتها تخبرها بأنها أجرت جراحة الزائدة منذ قليل ، وأنها الآن بخير ! (*)

إن التواصل الشعورى بين جسمين ماديين منفصلين لأمر غريب ؛ لكن من الواضح أنه شىء قديم ومعروف لدى البشرية ..

توجد عادة عجيبة اسمها (الكوفيد) Couvade ، تمارس على نطاق واسع لدى الشعوب شبه البدائية فى (أمريكا الجنوبية) و (جنوب شرق آسيا) .. والملاحظ هاهنا أنها لم تمارس قط فى (إفريقيا) ولا (استراليا) ..

والعادة مضحكة بعض الشىء لكنها تعكس شيئاً مما نتحدث عنه ..

(*) أرواح وأشباح . دار الشروق . الطبعة الثالثة عشرة .

حين تَدُ الأم يدخل زوجها كوخه وحيدا ليرقد فى
الفراش وينن .. ويكف عن عمل أى شىء لمدة أيام ،
ويتحاشى أى عمل عنيف ، ولا يلتهم سوى الأرز
بالمح !

بمعنى آخر : يقوم هو بكل ما تقوم به النساء ،
بينما الأم الحقيقية غارقة فى أعمال البيت الشاقة دون
لحظة راحة واحدة !

ما معنى هذا ؟ ما الغرض منه ؟ لا أحد يدري
حقاً ..

وكانعادة - كلما تعلق الأمر بعادات البدائيين - كانت
الكلمة الفصل للسير (جيمس فريزر) فى كتابه
الشهير (الغصن الذهبى) .. يقول (فريزر) إن
الأب يأكل أكلا لينا كى لا يؤذى معدة الوليد !
ويتأود فى الفراش كى يخدع الأرواح الشريرة ،
فتحسبه هو الأم وتهاجمه .. وهو - بطبيعة الحال -
أقدر على مكافحتها وأقوى ..

ها نحن أولاء أمام مثال فريد للتكامل الحيوى : المرأة
تد فيتأود الرجل ويرقد فى الفراش فى حالة إعياء ،
والرجل يأكل طعاما سهل المضغ كى لا يتأذى ولده !

ان (انكوفيد) طقس بدائی رمزی نتحدث عنه طنب
للطرافة ، لكن ما الموضوع فيما يتعلق بصديقتنا
(نجلاء) هذه ؟

★ ★ ★

الفصل الخامس : لا أهمية له سوى الاستطراء

ويمكن لسريعى الملل أن
يبدءوا بالفصل السادس

كان د. (محمود) جالساً فى معمل (وظائف
الأعضاء) - (الفسيولوجيا) إذا كنت تفضل ذلك -
عاكفاً على تصحيح بعض أوراق طلابه .. وكنت
متوتراً بصدد اللقاء ، فلا شيء يثير الذعر مثل أن
تلقى إنساناً لم تره منذ ثلاثة أعوام .. لقد عاد من
(ألمانيا) أخيراً ولن يكون اللقاء سهلاً .. لا بد من
كثير من الصراخ والتهليل والقسم و .. و

وقد كان بالضبط ، مع كثير من العناق ، والضرب
بقبضة اليد بين لوحى الكتف ، والرذاذ المتطاير من
الفم . وأخيراً استطاع أن يهدأ فأخبرته بمشكلة
(نجلاء) ..

ابتسم فى غموض ، وقال وهو يتقدمنى إلى
منضدة ما :

- « أنت تبحث فى أكثر أسرار النفس البشرية
تعقيداً .. لا تتوقع أن تكون لدى إجابة جاهزة لهذا ،

حتى لو كنت حاصلاً على جائزة (نوبل) فى الطب..»
- « كانت هناك ثلاثة كلاب تعسة مقيدة إلى
إطارات خشبية ، حيث يمارسون عليها تجارب
(بافلوف) الشهيرة ذات الجرس - رأيتـه يشير إلى
قفص به أنثى كلب لطيفة المنظر ، تحيط بها ثلاثة
جراء رائعة الجمال .. كان ينتوى شيئاً ما .. وكانت
عينا الكلبة قلقتين مثلى تماماً ..
قلت له مرتاباً :

- « لحظة .. لا تقل إنكم تعذبون هذه الكائنات
الوديدة بدعوى العلم .. »
ابتسم وهز رأسه نفياً :

- « سنفعل لكن ليس الآن .. إن (توسكا) قد
صارت أمّاً ، وهذه مناسبة تستحق الاحتفال بها ..
يمكن تأجيل التجارب بضعة أيام أخرى .. تعال
يا (بسيونى) .. »

جاء العامل التعس بدوره كأحد هذه الكلاب ، ودون
سؤال مـدّ يده إلى داخل القفص والتقط جرّواً صغيراً
لا يكف عن التلوى والصراخ الرفيع .. حاول عضّ
يده الخشنة لكن ما من عضّة تستطيع اختراق هذا
الجلد الثخين ..

- « (محمود) .. ماذا تنوى بالضبط .. »

- « شششش ! انتظر لحظة .. »

ورأيتَه يحمل الجرو الصغير ويشير إلى كى أتبعه إلى
حجرة جانبية صغيرة ، ثم أمرنى أن أقف على الباب مما
يتيح لى رؤية المعمل والحجرة الجانبية فى الآن ذاته ..
كانت (توسكا) تدور فى قفصها وتصدر أينا رفيغا
يمزق نياط القلوب .. لقد طار صوابها فرقا ..

رأيت (محمود) يكتم الجرو الصغير بيدد اليسرى ،
ثم بيدد اليمنى يغرس دبوسا دقيقا فى ظهره .. تلوى
الشيء عديم الحيلة أنما ، لكنه لم يستطع العواء ..

- « (محمود) هل جنتت ؟ أترك هذا الـ »

فى اللحظة التالية نظرت إلى القفص الذى كانت به
(توسكا) ، فرأيتها تشب على قدميها الخلفيتين ،
وقد تشبثت بالسلك الغليظ . وراحت تعوى دون هوادة
وبلا كلل .. كانت تتألم حقا .. لا شك فى هذا ..

انتزع د. (محمود) الدبوس وغرسه فى فخذ
الجرو ..

صرخة ألم رهيبه ليس من الجرو ، بل من
(توسكا) ذاتها .. وقد بلغ بها الهياج حدا مريغا .
فلو لم تكن فى قفصها لمزقتنا شر ممزق ..

- « كفى .. كفى ! لقد اقتنعت ! ليس من واجبت
أن تذبحه كي تضمنى إلى وجهة نظرك ! »
قال كمن ينهى محاضرة شائقة :
- « كان هذا مثلاً بسيطاً .. كما ترى : لم تعرف
الأم ما حلّ به ، ولم تسمع له صرخة ألم ، لكنها
تألّمت .. أى جاهل يمكنه أن يرى أنها تألّمت ..
(بسيونى يى) ! »

وهرع (بسيونى) يلحق برئيسه ، فحمل الجرو
المولول ليعيده إلى أمه ، وهو يردد عبارات التهذنة :
- « هيه ! كفى ! لقد عاد لك يا امرأة ! سترين
أننا لم نأكله بعد ! »

والحق أن عينيّ كادتَا تدمعان وأنا أرى لهفتها على
رضيعها ، وهى تلغقه بلسانها فى جنون كأنما تتأكد
من أنها أزالَت رانحتنا المقرزة من على فرانه ..

قال د. (محمود) وهو يغسل يديه تحت صنوبر ماء :
- « إن الأمر قابل لتفسيره أدبياً أو فلسفياً .. إن
الأطفال قطعة من روح الأم انفصلت عنها ، ولهذا
تشعر الروح الكبرى بالآلام أجزائها .. لكن أعطنى
تفسيراً علمياً واحداً لا يقودك إلى المصحة العقلية ..

لا يوجد .. إن الذراع المبتورة لا تشعر بما يحدث فى
جسد صاحبها .. دعنى أبتّر ساقك ثم أعدّ منها شواءً
ممتازاً .. يمكنك وقتها أن تجلس معى بانتظار نضجها
وتأكل منها لو أردت .. لكن لا تزعم لحظة أنك
ستشعر بذات النار التى تحرقها .. »

الحق أن هذه الصورة بدت لى شاذة نوعاً : أنا
و (محمود) نجلس إلى المائدة نلتظ ، بينما ساقى
النحيلة موضوعة على الفحم ، وقد بدأ صبرنا ينقد
وجوعنا يتزايد .. يا له من مشهد !
سألته وأنا أحرك ساقى كأنما لأؤكد من أنهما
هناك :

- « وبالطبع ما ينطبق على الأمهات ينطبق على
التوائم .. »

جفف يده بالمنشفة ، وقال :

- « نعم .. إن نظرية G.O.K تفسر كل هذه
الأسرار الأزلية .. »

- « وما خلاصة هذه النظرية ؟ »

- « GOK أى God Only Knows (الله وحده يعلم)

وهى من التفسيرات المحببة لنفر كبير من العلماء ..

وبها تجد الحقيقة وراء مثلث (برمودا) وشهاب
(تونجوسكا) وظاهرة التخاطر و .. و إنهم
يسمون هذا المذهب باسم (اللا أدريّة) .. «
حقاً .. G.O.K (سبحان الله) .. لكن من واجبنا
أن نبحث وأن نحاول أن نعلم .. علنا نقتبس جذوة
من نار العلم السرمدية اللامتناهية ، تبدد عنا ظلام
الكهف ليلاً ..

G.O.K .. لكن مشكلة (نجلاء) تنتظر الحل ..



فى الثامنة مساءً توجهت إلى دارها ..
كان د. (محمد شاهين) قد أعطاهم فكرة عن
مقدمى ، والحقيقة هى أنني لم أدر سبباً لـرغبتي فى
زيارة دارها .. لربما شعرت بأن تواجدى فى مسرح
الجريمة خير من القراءة عنه فى الصحف ، ولربما
حسبت أننى سأرى شيئاً لم أتوقعه ينير لى هذا
الظلام ..

لكن أهم الأسباب لـقدومى هو أن (ناهد) قد
وعدت بزيارة أهلها فى ذلك الوقت بالذات ، وهى
نعمرى صدفة جيدة ..

تسألون عن سر حماسى للأمر ؟ يا سلام ! إن فضولى البشرى لا يمكن إرواؤه ، ثم إن هذه المغامرة بعيدة ولله الحمد عن التواييت التى تفتتح عند منتصف الليل ، والأشياء التى تعوى عندما يبرز القمر من وراء السحاب .. إنها مغامرة شبيهة بحل الكلمات المتقاطعة فى جريدة ، ولا تزيد أو تقل فى خطرهما عن ذلك ..

كان شارعاً ضيقاً متوسط النظافة .. نظرت لشرفة الطابق الثالث فلم أجد القلة إياها ، لا بد أن الأب اشترى ثلاجة بالتقسيط من معاشه .. لكنى رأيت القطة المشمشية الواقفة على السور نصف غافية ، وهى - القطة - من طقوس الطبقة المتوسطة المقدسة .. لا بد من واحدة يضربونها بعضا المكنسة حين تسرق اللحم أو تعوى فى مواسم التكاثر ..

السلم هو السلم المعهود فى هذه المنازل .. بعض درجات مهشمة أو معوجة .. رائحة عطن من البئر .. شقق الجيران مفتوحة تصاعد من بعضها رائحة عشاء يطهى ، وترى كل هذا فى ضوء خاب من مصباح سلم يخفى أكثر مما يظهر ..

الطابق الثالث .. كان الهواء يتحدى رنتى أن
تبتلعه ، وتسارعت دقات قلبى فالتقطت أنفاسى
برهة ، ستقتلنى ناطحات السحب هذه يوماً ما ..
دققت الجرس فظهر لى الأب هاشاً باشاً .. كان كما
وصفته تماماً : أب .. لا أكثر ولا أقل ، يرتدى جلباباً
أبيض يكشف عن كرش لا بأس به ، وحافى القدمين
على سبيل التبسط ..

وجلست فيما يشبه قاعة الجلوس .. بحثت عن
الأريكة إياها التى تغطيها سجادة الصلاة لتخفى
تمزقات القماش .. آه ! ها هى ذى .. ثم بحثت عن
الصورة اللعينة التى تطاردنى فى كل مكان ، والتى
تظهر فتاة تحاول أن تلتئم بشفتيها فم ثعبان بين
أناملها .. آه ! ها هى ذى ! أنا لم أخطئ طريقى
إذن .. وطبعاً الجدران مطلية بالجير ذى اللون
الأصفر الشاحب كالعدس .. بيت تقليدى جداً ..
و - كالعادة - مزدحم جداً بالاثاث أكثر مما يتحملة
الأمر ..

جاءت الحاجة ترحب بى ، وهى كما وصفتها
(نجلاء) تماماً ، وإن بدا الشك فى أمرى واضحاً فى
نبرتها ونظراتها ..

« هذه المرأة تعتبرنى نصائباً »

قالتها لنفسى ، واحترمتها لصراحتها .. فمن أنا كى
أزعم أننى أفهم ما عجز عنه كل المشايخ الذين جاءت
بهم ؟ .. من أنا أمام كل البخور الذى أحرقته ،
والأحجية التى علقتها فى صدر ابنتها ؟

قال الأب وهو يضع كوب الشاى على الأريكة
جوارى :

- « إن (نجلاء) تتعذب بحق يا دكتور .. »

كان الكوب فى وضع خطير ، فلو تحرك ربع بوصة
لانتقلب .. لهذا تركز انتباهى كله على منع هذه
الكارثة .. قلت له شارد الذهن :

- « أنتم ترونها تتألم طيلة الوقت .. »

- « ليس الأمر مقصوراً على الألم .. أحياناً ننهض
من على الطبلية ثم تعلن أنها جائعة .. وأحياناً تشمئز
من الطعام برغم أنها لم تذقه منذ يوم .. أحياناً تبكى
أو تضحك دون سبب .. »

حقاً إن الأم محقة ..

يسهل على الرجل العادى أن يفترض أن هذه

أعراض مس .. التباس .. تقمص من الجن .. أما
الطبيب النفسى فسيرى حالة (هستيريا) مثيرة
للاهتمام ..

جاءت (نجلاء) فحيتنى فى حرارة ، وجلست
تنتظر .. سألتها وأنا أنظر لساعتي :

- « هل مدام (ناهد) قادمة ؟ »

- « هكذا وعدتنا .. ولا أدري لم تأخرت .. »

ثم قالت بلهجة ذات معنى :

- « يبدو أن الصداع قد جعلها تتأخر عن

المجيء .. »

وفهمت ما تعنيه .. لقد شعرت بصداع شديد مما

جعلها تفترض أن (ناهد) تشعر بنفس الشيء ..

وهو وضع مرهق حقاً .. كيف يمكنك تمييز الصداع

الأصيل من الصداع المقلد ؟ .. كيف يمكنك تمييز

صداعك من صداع الآخر ؟ ..

- « آه ! .. ها هي ذى ! »

قالتها وهى تنهض استجابة لدقة الجرس ، وظللنا

فى صمت بضع دقائق ، ثم دخلت (ناهد) وزوجها

إلى المكان ..

★ ★ ★

أما عنه فكان شبيهاً به (رشدى أباطة) حسب قول
(نجلاء) لكن لو كان (رشدى أباطة) شبيهاً
به (عبد الفتاح القصرى) ! إن دقة الوصف عند
بعض الفتيات تصيبني بالجنون أحياناً .. كأن لهن
عيوناً غير عيوننا ..

أما عن (ناهد) فكانت تضم رضيعها - الملفوف
كمومياء (حنّ حرس) - إلى صدرها ، ونظرت لى
فى عدم فهم .. الحق أنها كانت باهرة الجمال ..
الشمس الساطعة التى تحرق عينيك بنورها .. لكنها
لا تبعث الارتياح فى النفس ، وثمة مسحة ما من
القسوة والعجرفة على وجهها .. ولعل مخطئ فى
هذا ، لكن (نجلاء) كانت بحق أكثر جاذبية وراحة
للنفس ..

صافحنى الزوج فى ارتياب ، وصافحتنى هى فى
شك ، فداعبت الرضيع فى اشلمنزاز ، ثم جلسنا جميعاً
فى توتر .. !

فى النهاية - على صوت رشفات الشاى القلقة -
قالت (نجلاء) :

- « أعتقد أن د. (رفعت) يريد الانفراد بى
أنا و (ناهد) .. »

تبادل الأب والأم وزوج الابنة نظرات عدم الفهم ..
خاصة أن الأخير لم يكن يعرف لى دوراً فى الحياة
أصلاً .. لكن (ناهد) اختصرت مجهود الشرح
إذ سقط كوب الشاي انساخن على قدمها فأطلقت
صرخة ..

وفى اللحظة ذاتها صرخت (نجلاء) وهى تتحسس
قدمها :

- « قدمى .. ! .. آه د د ! » .

هرعت الأم تتفحص قدم (ناهد) ، وراحت تنظف
ما سقط على الأرض بخرقة قماش لا أدرى من أين
جاءت بها ، أما أنا فأدركت بنظرة سريعة أن الحرق
سطحى لا يستحق ضجيجاً .. الغريب أن قدم (نجلاء)
بدأت تكتسى باللون الأحمر ذاته ..

نظرت للزوج فرأيتَه ينظر لى ذات النظرة .. قلت :

- « الآن أنت تفهم سرّ مجينى .. »

قال وقد صرنا على موجة واحدة :

- « إن هذه الحوادث تتكرر كثيراً جداً .. لم يعد

بالإمكان ألا تلاحظ ذلك .. »

ثم - بلهجة شبه أمرة - قال للأب والأم :

- « والآن هلما يا حماتي ويا عمي .. لم يحدث

ضرر من الشاي والحمد لله .. لكن الدكتور يريد

فحص (نجلاء) بدقة .. »

امتثل الاثنان للأمر ، وهما لا يفهمان .. لقد قاما

بتقديمنا لبعضنا منذ دقائق والآن صارت لدينا أسرار

خاصة لا ينبغي أن يطلعوا عليها !

حين هدأت الفتاتان أخيراً قمت كي .. أو بس ! لقد

حدث المحذور وطار كوب الشاي ليلوّن الأريكة

كلها نسيت وضعه الحرج في غمرة انفعالي .

رحت أعتذر وهم يؤكدون ألا مشكلة هناك ، لكنهم

- قطعاً - يتمنون أن يقطعوا عنقي في سرائرهم ..

انتهى المزاح فقامت كي أعرف حقيقة هذه

الظاهرة ..

★ ★ ★

الفصل السادس : لا أهمية له سوى الإسهاب

ويمكن لسريعى الملل أن

يبدءوا بالفصل السابع

كانت النتيجة إيجابية حقًا ..

جربت اختبارات الإحساس المعروفة كالآلم والحرارة - بقاعدة كوب الشاى الساخنة - والضغط العميق ، وفى كل مرة كان وخز معصم (نجلاء) أو إصبع قدم (ناهد) يصل دون تحريف إلى الأخرى وفى الموضع ذاته .

لقد كان جهازهما العصبى واحداً ..

ظلّ الزوج - واسمه (محمود) - يتابع المشهد صامتاً كالأسماك .. لكن النتائج كانت واضحة تماماً لا تحتاج إلى أدنى تعليق ..

بعد قليل همس بصوت كالفحيح :

- « كنت أشك فى هذا منذ حادث الغسالة الكهربائية .. لكنى لم أعد قط متأكداً كهذه اللحظة .. إن هذا مستحيل .. »



وفى كل مرة كان وخز معصم (نجلاء) أو إصبع قدم (ناهد) يصل
دون تحريف إلى الأخرى وفى الموضع ذاته ..

- « الآن ترى أنه ليس مستحيلا .. »
قالت (ناهد) وهى تشد كم قميصها لتعيده إلى موضعه :

- « لا ندرى متى بدأ هذا ، لكننا أفقتا فجأة لنجد أننا - أنا و (نجلاء) نشعر بالأشياء ذاتها ، وإننى أتساءل عن كوننا لم نلاحظ هذا فى طفولتنا .. يمكن القول إن الأمر بدأ منذ عام واحد .. »
قلت فى حيرة :

- « ربما كان السبب هو أنكما تباعدتما فتضخم هذا الشعور ليعوّض المسافة بينكما .. ربما كان السبب هو أنكما تقدمتما فى العمر وصرتما أكثر قدرة على فهم ما لا ينتمى إلى أحاسيسكما .. لا أدرى حقاً .. لكن بدء الظاهرة متأخراً لا ينفى وجودها .. »
قالت (نجلاء) بلهجة حاسمة :

- « ما هو مصيرنا ؟ .. هذا هو السؤال .. »
قال الزوج بلهجة مستخفة :

- « أى مصير ؟ لا مشكلة هنالك .. ولا خطر .. »
قاطعتة وأنا أريح جسدى المنهك على الأريكة :
- « لا خطر ؟ من قال هذا ؟ من حق كل

واحدة منهما أن تعيش حياة طبيعية ، وألا تتألم حين لا يكون هناك سبب للألم .. لو أجرت واحدة منهما جراحة فما ذنب الأخرى ؟ .. ثم إننا لسنا خالدين على الأرض .. لو جاء قضاء الله وتوفيت واحدة .. «

فى ضيق غمغمت (ناهد) :

- « فأل الله ولا فألك ! »

شعرت بغىظ ألى هذا الحد هى حمقاء مغرورة ؟
قلت فى هدوء :

- « كلنا سنموت ، ولن يخلد أحدا لمجرد أن هذا يروق له .. لو ماتت واحدة منكما فما مصير الأخرى ؟ »

كلها أسئلة بلا إجابة ..

كلها أسئلة إجابتها الوحيدة هى G.O.K الشهيرة ..
ربما يتكفل الزمن بمزيد من الإجابات لمعضلة كهذه ..

★ ★ ★

بعد هذا بأسبوع كنت راقداً فى الفراش أقرأ ،
وقراءتى فى الآونة الأخيرة تدور حول القصص
الرومانسية شديدة البلاهة .. ليس بسبب الحب

- لا سمح الله - لكن لأنها الشيء الوحيد الخالى من التوتر ، وهذا من حقى بعد مغامراتى إياها فى (روماتيا) .. ولم يمنعنى من قراءة مجلات (ميكى) سوى بعض الحياء والخجل من كهولتى ..

دق جرس الهاتف فسمعت من يخبرنى فى هلع أنه (عبد الجواد) والد (نجلاء) .. لابد أنه يتصل من شقة (أم بلبل) بالتأكد .

كلا .. (نجلاء) لم تمت .. إنها تتلوى ألماً من وطأة أسوأ مغص يمكن وصفه ، ويبدو أنها لا تكف عن القىء .. ثم :

- « أرجوك أن تأتى يا دكتور ! »

نظرت إلى الساعة .. إنها الثالثة بعد منتصف الليل .. وهذه هى مشكلة الرد على الهاتف .. لا أقوى على الخروج الآن ، لكنى كذلك لا أجروء على الاتصال .. هناك مستشفيات كثيرة ساهرة ، ينتظر بها آلاف الأطباء الشبان المتحمسين المفعمين نشاطاً وحيوية ، فما ذنبى أنا بالذات ؟ لم تعد صحتى تسمح لى بالركض فى الشوارع ليلاً حاملاً حقيبتى .. لكنى سأفعل ..

ارتديت ثيابي ، وتناولت حقيبتى ، وركبت السيارة
منطلقاً إلى (شبرا) ..

كالعادة كانت أكثر من شقة مفتوحة ، وكان هناك
جيران كثيرون بالمنامة أو قميص النوم ، وقد تحولت
شقة (نجلاء) الضيقة إلى سيرك .. وفى غرفة
النوم كانوا يصبون شراب (الكراوية) صباً فى حلق
الفتاة المولولة الباكية ، فنهيتهم عن هذا وأمرتهم
بالخروج ..

كان الفحص سلبياً .. لا توجد علامات على أى
شئ مريب سوى تصلب عام فى جدار البطن ،
ولم تذكر الفتاة شيئاً غير معتاد بصدد طعامها
أو شرابها .. الكل أكل وشرب معها ..

كانت الحيرة تغمرنى ، ثم بزغ الحل فى ذهنى
سريعاً .. يا لى من أحمق ! إنها تتصرف كالمصابات
بالتهاب بريتنونى دون أن تكون مصابة به حقاً .. فما
معنى هذا ؟

غادرت الحجرة مسرعاً ، فاستوقفنى الأب على
الباب سائلاً :

- « طمننى يا دكتور .. ماذا دهاها ؟ »

ابتسمت له فى عذوبة وأنا أزيحه عن طريقى :
 - لا شىء .. مجرد ثقب فى قرحة معدية ..
 والتهاب بريتنوى ! »
 - « وهل هذا خطير ؟ »
 - « إنه يقتل .. فهل هذا خطير بما يكفى ؟ »
 تقلص وجهه فى رعب .. لقد نسيت أنه مصاب
 بوهن فى القلب .. عسى ألا يفعلها الآن فلا وقت
 لدى .. سألتنى وهو يرتجف :
 - « إذن .. إذن لماذا تتركها ؟ »
 - « يا له من سؤال ! » طبعاً لا نقذ (ناهد) ! إن
 الثقب فى معدتها هى ! »

★ ★ ★

كانت رحلة رهيبة إلى (حلوان) ، أسترشد
 فيها بوصف الأب لدار ابنته .. وكان ضوء الفجر
 يخالط الظلمات ، حين صعدت فى الدرج قاصداً الشقة
 فى الطابق الثانى ..
 وقبل أن أقرع الباب سمعت الصراخ الذى أكد لى
 أننى لم أكن حماراً حين تركت (نجلاء) وجنت هنا ..
 انفتح الباب عن وجه زوج (ناهد) ، ولم يقل
 حرفاً يعبر عن الدهشة أو الترحيب أو الرضا ..

فقط صاح كأنما يستكمل محادثة سابقة :

- « إذن تعال لتراها ! . إنها تموت ! »

ودخلت وراءه لأجد ذات المشهد للجارات محمرات
العيون اللواتى يتمنين لو انتهى كل هذا الضجيج
ليعدن للنوم ، والطفل يعوى كالذئاب على صدر واحدة
منهن ..

وفى غرفة النوم وجدت فوضى عارمة ، وملاءات
مكومة فى كل صوب ، بينما (ناهد) متكورة فى
الفراش تنن وتصرخ ..

كانت جوارها أكواب (الكراوية) الخالدة وفصوص
الليمون ، وأكواب النعناع بالكمون .. كل واحدة من
الجارات تطوعت بإعداد شىء ما .. والخدمة التى
قدمتها هى إعطاء مشروب ساخن لمريضة ذات ثقب
فى معدتها ..

وفى هذه المرة كان التشخيص واضحاً تماماً ، فلم
أضيع وقتاً أكثر وصحت أمر أحدهم بأن يستدعى
سيارة الإسعاف بالهاتف ..

ربع ساعة أو نصف .. تأخرت السيارة ربع
أو نصف ساعة حتى جاءت ، وفى هذا الوقت شبعت

صراخا وخمشا وسبابا من (ناهد) .. فهي - كأي شخصية مدللة غير ناضجة - تعتقد أن الألم إهانة لها ، ولا تدخر جهدا حين تتألم في أن تشعر الآخرين بالذعر والتوتر والذنب ..

إنها تصرخ كأنما يتم ذبحها دون أية محاولة للسمو بالألم أو تحديه ، بينما (نجلاء) كانت تتن من بين أسنانها ، برغم أنها تشعر بذات القدر من الألم ..

★ ★ ★

وفي المستشفى - حيث أعمل - تمت الجراحة بنجاح ساحق .. إن د. (على) أستاذ الجراحة يعرف حقاً ما يقوم به .. لقد كانت (ناهد) تهوى تعاطي أقراص (الأسبرين) لعلاج صداعها المزمن - وكل هاته الفتيات الهستيريات مصابات بصداع مزمن - لكن الأسبرين أدى عمله جيداً فأحدث قرحة في معدتها ، والقرحة استحالت ثقبا بسهولة بالغة ..

في اليوم التالي مررت على عنابر الجراحة لأراها ..

كان العنبر مزدحماً ، فزوجها لم يستطع ولم يرد

أن يدخلها إلى مستشفى خاص .. كانت راقدة على ظهرها وأنبوب (رايل) ما زال يخرج من أنفها .. بينما جلس الزوج جوارها يقشر أصابع الموز لها ، فقط ليكتشف أنها لن تأكل قبل مدة ، من ثم يدس إصبع الموز في فمه ويبدأ في تقشير إصبع آخر ..

قال لي حين رآنى ، بغم ملء بالموز :

- « إنها بخير .. والفضل لك .. لقد أضعنا ثلاث ساعات كاملة فى هراء الجارات ونصائح الأصدقاء..»
تناولت إصبع موز بدورى ، فبدأت تقشيره وقلت :
- « لا شافى سوى الله .. أعتقد أن المغص قد زال عن (نجلاء) ؟ .. »

- « حقاً زال .. لكنها تشعر بألم فى جدار بطنها .. على حدّ كلامها تشعر كأن هناك جرحاً مخيئاً .. ! »
- « هذا لا يثير دهشتى الآن .. »

ودسست إصبع الموز فى فمى مفكراً فى ما إذا كان من الوقاحة أن أمدّ يدي لأسلخ إصبعاً آخر . لكنه قدم لى إصبعاً آخر ليوفر على العناء ، ثم كور ورقة الجريدة على ما تبقى منه ، ليغلق باب الكرم ..
هنا لاحظت أنه ينظر إلى الوراء فى ارتياب ..

نظرت بدورى للوراء ، فوجدت شاباً فى العقد الثالث من العمر يقف على مسافة مترين من الفراش متردداً بين إقدام وإحجام ..

وبوثبتين كان قد اتخذ قراره .. اتحنى ومد يده يصافح (ناهد) فى حرارة ، وغمغم بشيء من ارتباك :

- « حمداً لله على سلامتكَ يا (ناهد) .. يبدو أنك على ما يرام .. »

ثم بثلاث وثبات كان قد ابتعد ..

يمكننى هنا أن ألخص غرابة الموقف كما يلى :

- ١ - هو لم يصافح الزوج ولم يفه أمامه ببنت شفة .
- ٢ - مصافحته طالت وقتاً أكثر مما يجب .. حتى لو كانت (ناهد) رجلاً لما احتاج لكل هذا الوقت ليصافحها .

٣ - رد فعلها هو إلى الارتباك والحيرة والحرص أقرب .. لا توجد أية حرارة فى استجابتها .

- ٤ - لم أرتح لمظهر الفتى .. له شارب رفيع مما يحب الأوغاد أن يضعوه فوق شفاههم العليا ، وله عينان ضيقتان أثمتان كذوبان فيهما غباء ودنس ..

ثم شعرد الطويل المتدلى على كتفيه كما تقضى
الموضة فى أوائل السبعينات ..

٥ - من الواضح أنه فى حالة مادية أدنى من
متوسطة .. ثيابه تشى بذلك ، وكذا عدم إحضاره
لشئ معه ، خاصة علبة الشيكولاته الأبدية التى هى
قانون المرض غير المكتوب ..

٦ - واضح كذلك أن الزوج لم يحب رؤيته قط ،
لقد بدا على وجهه ذات التعبير الذى يبدو على
وجهك لو وجدت بورصاً ساقطاً فى طبق الحساء على
مائدتك ! هو التعبير ذاته بلا مبالغة .

٧ - من الواضح أننى قوى الملاحظة حقاً !
بعد انصراف الفتى نظر لها الزوج ملياً .. ثم همس
بصوت كالفحيح :

- « كيف عرف هذا الحيوان بوجودك هنا ؟ »



الفصل السابع : لا أهمية له سوى الثروة ويمكن لسريعى الممل أن يبدعوا بالفصل الثامن

وجدت أن وقت الانسحاب قد حان .. فنهضت مهنناً
بشفانها ، شاكرًا لزوجها ما قدمه لى من موز .. ولم
أدر قط أن هذا اللقاء كان ذا أهمية كبرى فى سياق
هذه القصة ..

★ ★ ★

- « لقد زارها (صلاح) فى المستشفى ثلاث
مرات ! »
- « تبًا له من وقح ! »
- « لو عرف زوجها لفجر رأسه ! »
- « ماذا يريد منها ؟ »
- « لقد تزوجت وأنجبت فماذا بعد ؟ هل يجب أن
تموت أيضًا ؟ »

كنت جالسًا فى شقة (نجلاء) أصغى لهذه
المحاوراة اللطيفة الواقعة بين أربعة أطراف - فقد كان

د. (محمد شاهين) معنا - وأنا أظاهر بالصمم ،
وبأنتى منهمك فى تقشير (البونبون) اللزج الملتصق
بورفته ..

فى النهاية شعرت بأن عدم تدخلى فيما لا يعنينى
قد صار أقرب إلى الوقاحة وقلة الذوق .. التهذيب
الحقيقى هنا هو أن أتدخل فيما لا ناقة لى فيه
ولا جمل ..

سألت دون اهتمام حقيقى :

- « أ .. معذرة .. ولكن من هو (صلاح) هذا ؟ »

★ ★ ★

(صلاح) ؟ (صلاح) من الذى لا يعرف
(صلاح) فى (شبرا) كلها ؟

(صلاح) الظريف المرح .. (صلاح) القوى ..
(صلاح) الوغد .: (صلاح) الثعلب .. (صلاح)
الفارس المغوار الذى لا يشق له غبار ..

رسب فى الشهادة الثانوية ثلاث مرات ، وبعدها
كف عن المجادلة ولا أحد يعرف ما يفعله بالضبط ..
لكن جيبه دوماً ملىء بالنقود التى - على الأرجح - لم
يسرقها ..

هل تبحث عن سمسار نصاب للسيارات المستعملة؟
(صلاح) يصلح دوماً .. هل تريد أن تضرب أحداً ؟
(صلاح) يصلح .. هل تريد أية ورقة رسمية مزورة ؟
(صلاح) سيأتيك بها مقابل مبلغ مالى طبعاً .. فلو
أنهم يسمحون بكتابة كلمة (أفاق) فى خانة (المهنة)
بالبطاقة الشخصية لوجدتها فى بطاقة (صلاح) حتماً ..
كانت (ناهد) فى المدرسة الثانوية وقتها ،
مخلوقة فاتنة تعرف أنها فاتنة .. وكان لابد أن يحوم
(صلاح) حولها وقد استنتج أنها ليست حصناً منيعاً
كتوءمتها (نجلاء) .. لحسن الحظ أن أجمل الأختين
هى أقلهما التزاماً وصرامة ..

وشخصيته (صلاح) هذه جذابة للنساء دوماً ..
فى البدء تهابه الفتاة ثم تجده طريفاً ثم تجده جذاباً ..
وكان على (صلاح) أن يحوم حول (ناهد) مراراً
فى أثناء زهابها أو عودتها من المدرسة ، وهو يلقى
عبارات غزل ذكية مازحة لا تملك الفتاة أمامها أن
تكتم ابتساماً ..

ثم راح يدور حولها بالدراجة البخارية التى
اقترضها من (سعيد) صديقه ويصر على تسميتها

(مَكَنَة) ، ويأتى بحركات بهلوانية من التى لا تراها
إلا فى السيرك ، فكانت تبتسم أكثر فأكثر .
وأخيراً ضحكت !

هنا نجد ظاهرة غير مسبوقة .. إن أمثال (صلاح)
هذا غير قادرين على الحب أبداً ، بل هم يطاردون
المرأة مدفوعين بنوع من غريزة الصيد ..

مجرد قلب جديد يضاف إلى نادى القلوب المحطمة ..
ورأس وعل جديد يعلقه فوق المدفأة مزهواً ..

لكن (صلاح) أحب (ناهد) حقاً ، ولم يعد يرغب
فى شيء سواها .. من الغريب أنه بدأ يستقيم ، وبدأ
يبحث عن عمل منتظم شريف .. وفى أعماقه السوداء
أشرق ضوء خافت : الحاجة إلى زوجة ..

لكن وعود (صلاح) نوع من الدخان الأزرق
لا يدوم طويلاً .. يعد فى حماسة وينسى وعده فى
حماسة أكبر ..

سرعان ما كان يعود لحياة الأفاق .. فهى أسهل وأكثر
ربحاً .. ثم إنها تناسب طباعه المتقلبة التغلبيية المتآمرة ..
لكنه ظلّ مولعاً بـ (ناهد) .. ولعل هذا كان الشيء
الوحيد الصادق فى حياته عديمة النفع بأسرها ..

وفى ليلة سوداء اصطحب أباه العجوز - خفير
سابق فى مصنع - وذهب ليخطبها من أبيها الأستاذ
(عبد الجواد) ..

كلا لم يكن أحمق ولم يتحاقق .. كانت نظريته
تستند إلى دعائم قوية .. فالفتاة تميل إليه وهذا
واضح .. كل الفتيات يهمن به على كل حال .. ثم إن
الفتاة رسبت فى الشهادة الثانوية وهذا يجعل سعرها
أقل حتمًا . أضف لهذا أنه كان ذا دخل مرتفع ،
صحيح أن أحداً - ولا هو نفسه - لم يستطع أن يحدد
مصدر هذا الدخل بالضبط .. لكن المال هو المال .

وكان هذا فى عهد الموظفين المحترمين .. حين
كان الموظف القادم من الطبقة المتوسطة يعتلى سلم
المجتمع قبل أن يهوى اليوم إلى أسفله .. لهذا بدا
طلب (صلاح) شديد الوقاحة فى نظر الأب ، وكان
رفضه باتًا وقاسيًا :

- « إن ابنتى لن تتزوج رجلا لا أعرف ما هو
عمله بالضبط .. ولو سأل أحدهم ابنها عن وظيفة
أبيه فماذا يقول ؟ »

أضف لهذا أن الفتى كان يتمتع بأسوأ سمعة فى

الحى كله .. ولم يكن أحد يثق به إلا كما يثق
بثعبان .. والثعابين ليست أفضل العرسان لابنتك
بالتأكيد ..

كان الرفض باتاً .. لكن (صلاح) لم يستسلم قط ،
ولم يصدق أن (ناهد) لن تكون له ..

★ ★ ★

وهنا تتحرك الرومانسية فى أفضع صورها ..
رومانسية قصص (ماجدولين) و (غادة الكاميليا)
وكل ما لم يقرأه (صلاح) لكنه يتصرف على أساسه ..
وقد تعلم الدرس الأول من هذه القصص :

يجب أن تكون حبيبتك لك وإلا لن تكون لآخر !
وبالفعل تصرف بتهور مبالغ فيه ، فاستوقفها فى
أثناء عودتها من المدرسة ، وانفعل لدرجة أنه أمسك
بمعصمها بقوة ، صارخاً فى هستيريا :
- « أنا لا أرفض ! أنا لا أرفض ! »

حاولت أن تتملص فى نعومة دون جدوى ، من ثم
بدأت تصرخ بدورها واحتشد المارة وكانت فضيحة
لا بأس بها ..



حاولت أن تتخلص في نعومة دون جدوى ، من ثم بدأت
تصرخ بدورها ، واحتشد المارة وكانت فضيحة لا بأس بها ..

وهكذا ذهب الأب إلى المخفر حيث أبلغ عن الحادث ، واستدعوا (صلاح) ليوقع على إقرار بعدم التعرض للابنة ..

وقع (صلاح) طبعاً .. لكن ما أهمية توقيع كهذا ؟ إن (صلاح) يحمل بذرة مخالفة القوانين في أحشائه ، وكلما خالف قاتوناً شعر بأنه أحسن حالا .. لهذا لم يكن التعهد يساوى أكثر من الورق الذى كتب عليه ، وأدرك الجميع أنه لن يتوقف ..

خطبت (ناهد) بعد هذا لمهندسها الهمام ، وظل الجميع يرتجف هلعاً من انتقام (صلاح) لكنه لم يظهر .. بعد هذا أقيم الزفاف فى حفل متواضع فى شقة د. (محمد شاهين) حتى لا يشعر (صلاح) ، وقد حبسوا أنفاسهم فرقاً ، ولم يكن أحد ليبدى دهشة لو اقتحم (صلاح) المكان حاملاً مسدساً ليفرغه فى صدر العروسين .. إن هذا يحدث دائماً فى الأفلام العربية ، ومن الغريب أنه فات على العاشق المكلوم إياه ..

لكن (صلاح) لم يكن هنا .. كان قد سافر إلى (فرنسا) ليجمع العنب فى هوجة سفر الشباب

المصرى إلى أوروبا فى أوائل السبعينات .. وهى رحلة لن تسفر عن شىء فى الغالب سوى بضع كلمات فرنسية يتشدد بها ، وقميصين وسروالين على أحدث موضة ، وعلبة سجائر (جولواز) يحملها فى يده لأن السروال ضيق ، ويضعها دوماً حيث يراها الجميع ..

اختفى (صلاح) أعواماً عديدة من العالم اليومى ، ومن مخاوف الأسرة ، وبدا أن الحياة تتحسن .. كان ذلك حين بدأت أعراض (التماثل الشعورى) هذه ، وظهر فى حياة الأسرة شىء أصلع نحيل يدعونه بـ (رفعت إسماعيل) .. وهذا شىء مريع ، لكنه ليس أفظع من (صلاح) على كل حال ..

★ ★ ★

الآن يظهر (صلاح) من جديد .. ويظهر فى المستشفى ليهنى (ناهد) على سلامتها أمام زوجها ، الذى لم يتبين شخصيته إلا بعد رحيله ..

إن الوغد لم ينس شيئاً ، ولم يتعلم شيئاً .. كان يحسب أن ما جمعه من مال فى (فرنسا)

- وهو فى الغالب قليل جداً - يصلح لتغيير نظرة الأب له ..

لكنه وجد فتاته قد تزوجت ورزقت طفلاً ..
الشخصيات الناضجة تعرف كيف تقبل الحقائق
ولا تتحدى المجتمع ، لكن من الأحمق الذى يصف
(صلاح) بالنضج ؟

وفى الآونة الأخيرة كفاً (صلاح) عن الظهور فى
(شبرا) .. لم يعد أحد يراه .. لكن وجهاً جديداً
مثيراً للتساؤلات ظهر فى (حلوان) ..

وبدا واضحاً أن الفتى لم ولن ينسى ..
إنه يبحث عن المتاعب بالمجهر الإلكتروني ..
ولم تكن (ناهد) تعرف هذا حين خرجت مع طفلها
إلى السوق ..

★ ★ ★

الفصل الثامن : لا أهمية له سوى ملء السجادة

ويمكن لسريعى الملل البدء

بالفصل التاسع

كنت قد فرغت من عملى فجلست أطالع بعض المنشورات الطبية التى وصلتني إلى الكلية ، حين سمعت صوت الخطوات المألوف على الباب وقرعات خجولا تطلب الإذن بالدخول ..

رفعت عينى لأرى (نجلاء) ، وقد بدا لى كأن قطار بضاعة قد مرَّ فوقها مرتين ..

كان وجهها مليئاً بالإعياء والإرهاق .. وهناك كدمات فى كل مكان خاصة على خديها .. ومن خطواتها أدركت أنها تعرج قليلا ..

لم أجد ما أقول ، وبدا لى من الابتذال أن أسألها عما هناك .. سارعت بإحضار مقعد لها ، وربت على كتفها مطمئناً .. ثم سألت :

- « أنت أم هى ؟ »

لقد صار هذا السؤال تقليدياً فى الآونة الأخيرة ..
لا يمكن أن تعرف ما لم تسأل .. قالت وهى تلتقط
أنفاسها :

- « هى .. لقد حدث هذا فى التاسعة صباحاً ..
تلقيت - وأنا فى المكتب - عشرات الصفعات
والركلات .. الطريف أن أحداً لم يفعل هذا بى ..
وأدركت على الفور نوع التجربة التى تتعرض لها
(ناهد) الآن .. غادرت المكتب مسرعة وركبت -
بمظهرى العجيب - إلى (حلوان) .. وهناك عرفت
أن (صلاح) هاجم (ناهد) وهى فى السوق .. بعد
محاورة قصيرة اتهال عليها صفعاً وركلا كالمجانين ،
وكاد يفتك بها لو لم يتدخل الناس الذين أصابهم
الذهول لثوان .. وبالطبع كادوا يفتكون به بدوره ..
إنه فى المخفر الآن .. وهى فى أسوأ حال .. »

شعرت بذهول عميق ..

أى بلطجى هذا ؟ أى حيوان ؟

إن من يضرب أمًا تحمل طفلها يستحق أن يتم
تمزيقه إلى قطع ورميه للتماسيح .. لماذا لم تعد فى
مصر تماسيح ؟

رشفت جرعة من كوب الماء الذى أمامى .. لقد
جعل الغضب لسانى كخطبة ، ثم قلت لها :
- « إنه قد جُنَ تماماً .. والأدهى أنه عاقب اثنتين
لا واحدة ! .. »

ابتسمت فى حزن .. فلم يكن هناك ما يُقال ..
قلت لها بعد صمت طال :
« لماذا جنت اليوم؟ » أعنى إننى أرحب بك دومًا ،
ولكن أية ريح طيبة ألفت بك ها هنا ؟ ألتخبرينى بكل
هذا ؟

قالت فى شرود وهى تتحسس كدمة تحت عينها
اليسرى :

- « أقول إننى لم أعد أطيق هذا الوضع
يا د. (رفعت) .. إننى أفرح فلا أدرى إن كنت فرحة حقًا ..
أحزن فلا أدرى إن كنت حزينة حقًا أم هى .. حتى
الجوع لم أعد واثقة من أنه جوعى .. لقد فازت (ناهد)
بكل شيء .. واليوم لم تعد مشاعرى ذاتها من حقى .. »
- « إنها تعاني الشيء ذاته على كل حال ،
ولا أظنها سعيدة .. »
- « لكنها حمقاء ! »

قالتها فى اشمناز ، وأردفت :

- « حمقاء ! والحمقى يجلبون على أنفسهم الوبال دائماً .. أنا لا أضرب ولا أصفع .. لا يوجد شىء من المشاعر والأحاسيس الكريهة فيما أنقله لها .. أما هى فتجعلنى أدفع ثمن حماقاتها ! »
نظرت لها ملياً .. ثم فى كياسة غمغت :
- « بالعكس .. أنت تنقلين لها شعوراً كريهاً طيلة الوقت .. »

- « وما هو ؟ »

- « الغيرة ! »



زجوا بالفتى فى السجن لمدة ثلاثة أشهر ، وهى فترة أشبه بإجازة الصيف بالنسبة للفتاتين وأسرتهما .. سيخرج حتماً .. لكن ربما يغدو أكثر تهديباً .. حين يحب من لا يستطيع الحب ، يغدو إفتاعه بنسيان الأمر ضرباً من المستحيل ..

اندمجت فى حياتى الطبيعية الهادئة ، فكان لى لقاء مع طفل ممسوس ربما أحكى لكم قصته فيما بعد ، وتعرفت كائنًا شيطانيًا يدعى (كراسوس) ربما

يسعدنى الحظ بأن أقدمه لكم .. ذكرونى فيما بعد
بهذهين .. هه ؟

أقول إننى اندمجت فى هذه الحكايات البهيجة التى
تتكون منها حياتى ، حين جاءتنى (ناهد) ذات
صباح فى الكلية .. وهى المرة الأولى التى تفعل فيها
ذلك .. كانت كالعادة جميلة جداً سمجة كحيوان
(الأرماديلو) .. لكنى رحبت بها ، وأنا أستعيد
القصة إلى ذاكرتى من جديد ..

قالت فى شىء من الضيق :

- « تعبت كثيراً حتى وجدت هذا المكتب » اعتذرت
لها بشدة عن عدم استطاعتى وضع مكتبى فى
منتصف ميدان (التحرير) ، فمن العسير أن يسمحوا لى
بذلك ، ثم سألتها فى غلظة عن سبب تشريفها لى ..
قالت وهى تضع ساقاً على ساق ، وتلوك قطعة
لادن فى عصبية :

- « إن الجروح تملأ جسدى ، ورأيت أن آخذ
رأيتك .. »

ثم مدت ساعدها لترينى معصمها الذى امتلأ
بالكدمات ..

قلت وأنا أخلع عويناتى لأضع عوينات القراءة : —
« يبدو أن .. هل قابلت (صلاح) مؤخرًا ؟! »
تنهدت فى صبر كأنما لا تصدق أى حمار هذا ،
وقالت :

— « (صلاح) فى السجن .. ألم تفهم هذا
من (نجلاء) ؟ »

— « إذن ما الذى ؟ .. هذه كدمات يا بنيتى وليست
مرضًا جلديًا .. لا بد من إصابة ما .. »
— « هذا هو ما أقوله .. إصابة ما ، وهى لم تحدث
لى .. »

— « الأمر سهل إذن .. إن كل هذا حدث
لـ (نجلاء) .. أحسبنا تجاوزنا مرحلة الاندهاش
لأمور كهذه .. »
— « لكنها تنكر ! »

قالتها فى كراهية .. فى مقت .. وازدادت سرعة
فكّيها فى مضغ قطعة اللادن مما جعل أصوات
اتفجارات عالية تدوى ..

بدأت أهتم بالأمر ، فاتحنت واستبدلت بعوينات
القراءة عوينات المسافات لأراها أوضح ، وسألتها :

- « تريدن القول إنها لم تصب بكدمات ؟ »
قالت فى عنف :

- « نعم .. أو بمعنى أدق : لم يصبها أحد بها ..
إن هناك فى جسدى آثار كدمات وحروق كلها فى
أماكن غير ظاهرة .. وهذا معناه .. »
اللغة ! .. إن الأمر يزداد تعقيداً ..

إن الأطباء يعرفون مرضاً نفسياً شهيراً هو
(التمزيق الذاتى) وكالعادة يطلقون عليه اسماً
عسيراً مثل automutilation وهو منتشر إلى حد ما
بين الإناث ، وهناك مرض آخر هو انتزاع الشعر
الذاتى ، واسمه اللاتينى المرعب فى حد ذاته هو
Trichotellomania .. وهو - كالعادة - منتشر بين
الإناث ، وكل المريضات به ينكرن أنهن يؤذين
شعورهن أو يدمين أجسادهن .. وبالطبع تكون أكثر
الإصابات فى مواضع تخفيها الثياب حتى لا يتعرض
لأسئلة فضولية ، وكثيراً ما حيرت حالات كهذه أطباء
الأمراض الجلدية الذين يحسبونها مرضاً خطيراً
لا اسم له ..

لماذا يؤذى الإنسان جسده الخاص ؟ إنه نوع من عقاب الذات أو استعذاب الألم يدل على خلل نفسى مريع ..

لماذا - إذن - تؤذى (نجلاء) نفسها ؟ إجابة سهلة جداً : لأن هذا هو السبيل الوحيد لإيذاء (ناهد) ! (ناهد) التى ظلّ لها طعم مرير فى فم (نجلاء) طيلة هذه الأعوام .. (ناهد) التى ظفرت بكل شىء دون أن تستحقه .. إن (ناهد) يجب أن تنال نصيبها من الأذى ..

لقد استنتجت (ناهد) الأمر بسهولة ودون عناء ، وفى غضب قالت لى :

- « هذه الحمقاء مجنونة تماماً .. يجب أن تمنعوها ، وإلا لا أضمن لحظة ما ستفعله كى تؤذيني .. ربما تلقى بنفسها أمام قطار أو تشعل فى ثيابها النار .. تصور هذا ! إنها تحقد على منذ عرفت معنى الحقد .. »

نظرت لها صامتاً ..

فى الحقيقة لم يكن كل ما قالت هراء إلى هذا الحد ..

لكن هل تفعل (نجلاء) ذلك حقاً ؟

★ ★ ★

صاحت (نجلاء) .

- « أقسم بالله العظيم إن هذا لم يحدث ! »

ثم نهضت مندفعة إلى رف المكتبة على الجدار :

- « هات لى مصحفاً كى أقسم عليه .. ! »

نهضت فأعدت المصحف إلى موضعه على الرف ،
وقلت لها :

- « لا أحب أن تقسمى فى أمور تحتمل الكذب

أو الخطأ .. كل هواة (تمزيق الذات) ينكرون

- أو لا يعرفون - أنهم يفعلون ذلك .. »

قالت وهى تشير إلى ذراعها الملىء بالكدمات :

- « هى التى فعلت هذا بنفسها وبى .. أنت

لا تعرف (ناهد) .. إنها الأنانية المجسدة والشر

المطلق .. حتى إننى لأبكى كل ليلة حين أتذكر أن هذه

هى أختى التوعم .. »

جلست إلى مكتبى ، وخلعت عويناتى ورحت

أعصر عينيّ بأناملى منها ، ثم قلت لها :

- « اسمعى يا (نجلاء) .. إن علاقتكما المعقدة

هذه تحتاج إلى كاتب من وزن (دستوفسكى)
الرهيب كى يدرسها .. وبما إنه مات فإبنى أقترح
أن تريا محللاً نفسياً بارعاً .. أعرف واحداً هو
د. (سامى) لكنه يعيش فى (الإسكندرية) .. ربما
لو .. »

وفتحت عينى فوجدتها قد رحلت ..

★ ★ ★

الفصل التاسع : لا أهمية له سوى التطويل

ويمكن لسريعى الملل أن

يبدءوا بالفصل العاشر

كان (صلاح) هِلْجَامَة ..

و (هِلْجَامَة) هى لفظة عربية منسية لكنها فصيحة
جداً ، وتعبّر باختصار عن الشخص الكذوب الخائن
الجبان اللص المنافق القذر البخيل القاسى الواشى
المدعى المغرور الجاهل الـ ... باختصار (هِلْجَامَة)
تعنى من حوى كل نقيصة وخلا من كل فضيلة ..
ولأن (صلاح) هِلْجَامَة ، فقد غادر السجن لكنه لم
يغادر عالمه الملىء بالقسوة والاستخفاف بمشاعر
الآخرين ..

فقط قرر أن ينتظر حتى تسنح فرصة الانتقام ..

★ ★ ★

كانت المشكلة هى أن (ناهد) لم تعد تغادر الدار ،
فإن غادرتها كان زوجها معها فى كل خطوة .. وحين
يذهب زوجها للعمل كانت (ناهد) تغلق باب الشقة
بإحكام ولا تخرج أبداً أو تنظر من نافذة ..

ومن حين لآخر كان يرى أباهما يدخل البناية ، أو خالها ، أو شقيق زوجها .. لقد تعلم هؤلاء ألا يتركوا (ناهد) وحدها أكثر من بضع ساعات كل يوم ..
تدريجياً نسي (صلاح) - وهو يجلس فى المقهى يدخل الشيشة ويشرب الشاي (الكشرى) - أن عليه أن ينتقم .. صار الأمر أقرب إلى لغز مسل يتحدى الذكاء من الغاز مجلة - كيف يؤذى أميرة تحيا فى حصن يحيط به الفرسان الأشداء فى كل صوب ؟ »



فى ذلك الصباح المشمس جلس فى المقهى يراقب مدخل البناية على الجانب الآخر من الشارع كدأبه .. كان قد وضع عوينات سوداء وأطال لحيته فى السجن ، كما قصر من شعر رأسه .. لكنه - لمزيد من الضمان - كان يمسك بجريدة يخفى بها وجهه كلما شعر أن هناك من ينظر فى اتجاهه ..
رشف رشفة من الشاي ، وسحب نفسين من الدخان :

الآن يستطيع أن يرى الأب والتوعم الآخر - القبيحة - يغادران المبنى، لكنهما لم يكونا وحيدين،

الآن يرى (ناهد) وطفنها على كتفها ، وزوجها ذا
العينين الحولاءين .. يبدو أن الأسرة كلها ذاهبة
لنزهة ، أو ربما لزيارة أم الزوج أو شيء من هذا
القبيل ..

بحركة غريزية رفع الجريدة ليخفى وجهه . ودقق
النظر أكثر ..

كانوا يعبرون الشارع وينظرون فى اتجاه
السيارات ، حين برز صبي على دراجة هوائية .. كان
مندفعا أكثر من اللازم فاصطدم بـ (نجلاء) بقوة
لا بأس بها ، وهى لم ترده لأنه كان يسير فى عكس
الاتجاه .. سقطت أرضا وصرخت صرخة قصيرة ..
هنا لاحظ ظاهرة غريبة بعض الأشياء ..

لماذا صرخت (ناهد) بدورها ؟ ولماذا مدت يدها
تتحسس كتفها ؟ إنه لم ير شيئا يضربها ، ومن
المؤكد أنها تتألم حقا .. غريب هذا ! ربما ألم
الرضيع كتفها بشكل ما .. ولكن يا لها من مصادفة !

استطاع أن يرى الزوج يوبخ الصبي ، ثم يطلق
سراحه .. بينما الأب ينحنى على (نجلاء) ليرى

ما دهاها حيث جلست على الإفريز تنن .. هو ذا يمد
يده إلى كاحلها ليتفحصه .. بدا ألم شديد على
ملامحها ..

وانطلقت عينا (صلاح) كالرصاصة لتريا
ما أصاب (ناهد) .. إنها تمسك بكاحلها وعلى
وجهها أعتى آيات الألم .. لقد أرغمها الألم على
الجلوس بدورها على الأرض والطفل على كتفها ،
وبيدها الحرّة راحت تدلك ساقها عند المفصل
الملتوى ..

ما معنى هذا كله ؟

كان ذكياً ، وكان يتمتع بغريزة الذناب .. لهذا بدأ
يفهم ما يحدث ، لكنه لم يصدق .. هذا هراء .. إن
المصادفات ..

ولم يكن يتمتع بعقل علمي منظم ، لكنه وضع
منهاجاً علمياً لا بأس به لإجراء تجربة كانت ستروق
لـ (ديكارت) بالتأكيد ..

نادى غلاماً مرّ به في المقهى .. غلاماً من هؤلاء
الحفاة الذين يمشون حاملين قطعة من الورق المقوى
صامتين كالقبور .. وهي رسالة صامتة لمن يبغى
تلميع حدانه ..

فى كف الغلام دس عشرة قروش - وهو مبلغ كان
فادحاً وقتها - وفى أذنه همس ببضع كلمات ، شفعها
بصفعة على ظهره وصيحة :

- « حمامة يا له ! أسرع قبل أن يبتعدوا ! »

ولم يكذب الغلام خبرا ..

عبر الشارع ركضاً ، ثم مضى يهرول فوق الإفريز
حتى وصل إلى (ناهد) التى كانت قد استطاعت
التحامل على نفسها فالوقوف ..

وفجأة - قبل أن تفهم ما حدث - كان الغلام قد
داس على قدمها بقدمه الخشنة الغليظة ، وواصل
هرولته مبتعداً ..

من جديد تأوهت وقالت شيئاً ما عن تلك البهائم
التى لا ترى أمامها ، وفى اللحظة ذاتها تأوهت
(نجلاء) من جديد ونظرت إلى قدمها ..

ثم إنها - (نجلاء) - تحاملت على نفسها لتنهض
مستندة إلى الأب وزوج شقيقتها ، وببطء بدأت
تمشى .. ثمة عرج بسيط لكنها تمشى على كل
حال .. وراح الأربعة يبتعدون عن المشهد ..

وفى مقعده حيث جلس يرمى كل هذا ، والجريدة



من جديد تأوّهت وقالت شيئاً ما عن تلك البهائم التي لا ترى أمامها ،
وفي اللحظة ذاتها تأوّهت (نجلاء) من جديد ونظرت إلى قدمها ..

تدارى وجهه نوعاً ، أدرك (صلاح) أن يومه لم يضع سدى ..

إن لهذا الذى رآه معنى خطيراً ..
إن نفعه لمؤكد ، وإن كان تفسيره عسيراً على
الأفهام .. لا يهم !

الخاسرون فقط هم من يبالون بالتفسيرات ..

★ ★ ★

بالطبع لم أعرف شيئاً من كل هذا ، لأن (نجلاء)
و (ناهد) قررتا أن تحرمانى من أسرارهما اللطيفة ،
ومن كونى المستشار الصحى المجاتى لهما .. لا بد
أننى أبديت تبرماً واضحاً فى المرة الأخيرة ..
وهكذا غرقت فى التفاصيل الهائلة لحياتى .. مثل
الوباء الغامض الذى بدأ يحيل القوم إلى مسوخ فى
تلك القرية الفرنسية ، والمومياء التى تغير مكانها
ليلاً فى المتحف المصرى .. إلخ .. ذكرونى أن أحكى
عن هذه القطع الرائعة فى مناسبة أخرى ..

أما الآن فيمكن القول إن شهرين مرّاً دون أن
أسمع خبراً عن تلك الأسرة ، وأكون كاذباً لو قلت إن
هذا ضايقتى .

أبنتى أمقت العلاقات النفسية المعقدة وأشمز منها ،
لهذا لا أرتاح كثيراً للكراهية المتبادلة بين الشقيقتين ،
تلك الكراهية التي تحمل قدراً لا بأس به من الحسد
والغيرة ، وتتوارى وراء ابتسامات معسولة .. إن
(نجلاء) تغار من جمال (ناهد) و (ناهد) تغار
من عقل (نجلاء) ، فهي - برغم جمالها الصارخ -
تشعر بأنها لم تزد على عصفور جميل الشكل فارغ
الرأس ، اقتناه زوجها في داره .. ولعلها كانت
تتمنى حقاً لو ذهبت إلى الجامعة ، وحملت كراس
محاضرات ، وأمضت ساعات المساء في استذكار
كئيب .. يوماً ما ستكون (نجلاء) محامية
وسيطلقون عليها لقب (الأستاذة) ، بينما يذوى
جمال (ناهد) فلا يبقى منه سوى عجوز جاهلة
خاوية العقل ..

لم أشعر - وأنت توافقتى - باستمتاع كبير
إذ أتورط في كل هذه المشاعر السوداء القادمة من
أغوار روايات (دستوفسكى) ، كما لم أتحمس كثيراً
لموضوع (صلاح) الذي يصفع الأمهات في الأسواق ،
ويزور حبيبته أمام زوجها فلا يخفى حبه لحظة .. كل

هذا يشير هلعى ويجعلنى أنكمش أكثر فأكثر .. وأتذكر
كلمات المطرب الإنجليزى (كات ستيفنز) :
- « آد يا صغيرتى إنه لعالم متوحش ..
من العسير أن تحتفظى بابتسامتك فيه ..
فإذا صممت على الرحيل تذكرى أن تأخذى
حذرك ..

فهو عالم متوحش لا يرحم .. وأنت مجرد طفلة ..»
لقد قالها (كات ستيفنز) ثم اعتنق الإسلام ،
وصار اسمه الشيخ (يوسف إسلام) ؛ من أهم قادة
الدعوة الدينية فى (لندن) .. ويبدو أنه لم يجد مفراً
من هذا العالم المتوحش إلا فى الدين(*) ..
حقاً إنه لعالم متوحش يا صغيرتى ..

★ ★ ★

فى ذلك اليوم فتحت باب شقتى فى العاشرة
مساءً ، لأسمع جرس الهاتف لا يكف عن العواء
والصراخ ..

(*) حقيقة .

غريب أن اللهفة والذعر يظهران فى جرس الهاتف
أحيانا ..

هرعت لأردّ فى الظلام ، وطبعًا اصطدمت بمقعدين
حطّما ساقى ، كما سقطت المزهريّة كعادتها منذ عشر
سنوات ، وبرغم هذا لا تتهشم أبدًا لترى حنى منها ..
أخيرًا وجدت السماعيّة فرفعتها ، وبحقّ صحت :
- « ماذا تريد ؟ »

- « أنا د. (محمد) يا (رفعت) .. د. (محمد
شاهين) .. »

- « هذا لم يجب على سؤالى بعد .. »
- « إن (نجلاء) لم تعد من المكتب بعد .. »
شرحت له فى صبر أئنّى لست مسئولا عن مواعيد
ذهابها وإيابها ، إلا إذا كنت زوجها ، أو سائق
سيارتها الخاصّة ، أو سائق حافلة المدرسة ،
أو - لا سمح الله - كان لى سجل مشهود لخطف
الفتيات ..

- « لكنها مريضتك »
- « ما دامت ليست مصابة بسرطان الدم ، فالأمر
لا يخصنى »

قال فى رصاة من يحاول تمالك أعصابه كى
لا ينفجر فى :

- « (رفعت) .. أنا أحدثك كصديق .. هل تجد من
الطبعى أن تتأخر ابنة أختك حتى العاشرة مساءً ،
وهى لم تتأخر قط بعد الثالثة فى أى يوم ؟ وهم
لا يعرفون شيئاً عنها فى المكتب » .

- « كلهن يفعلن ذلك ، ثم يعدن للدار دون أن
يتمن ، وهى شجاعة أدبية حقيقية .. لو كنت مكانها
لمت » .

ثم - قبل أن ينفجر فى - صحت :

- « اسمع .. هل طلبتم صديقاتها ؟ »

- « كلهن فى ديارهن معززات مكرمات »

- « وهل لها خياط أو مصفف شعر ؟ لا بد من

واحد .. »

- « إلا هى .. إنها تفعل كل هذا فى البيت .. »

- « وماذا عن الأقسام والمستشفيات ؟ »

- « لقد فعلت هذا وأكثر .. أتحسبنى كنت أمزح

منذ الخامسة ؟ »

هنا وجدت أن أفضل ما أفعله هو أن ألحق به ..

أمقت هذه الدواعى التى أترك البيت بسببها ..
لو كان فى نزولى فى ساعة كهذه بعض نفع للفتاة
لفعلت ، لكن الأمر هو نوع من الاستنزاف
العاطفى لى .. لماذا أجلس فى دارى مستريحاً ما دام
من الممكن أن أتعب ؟ حتى ولو كان تعبى بلا
جدوى ..

★ ★ ★

ويمكنك بوصفك رجلاً ذا خيال أن تتصورَ منظر
الأسرة من الطبقة المتوسطة إذ جلست على جمر ،
بانتظار خبر أى خبر ..

كانت (ناهد) هناك وزوجها وطفلهما الذى يعوى
كالذئب جاعلاً الأمر جحيماً بما يشيعه من توتر .. ،
والأم لا تكف عن البكاء والارتجاف ، والأب هو
متوفٍ ينتظر فقط أن نعلن أنه كذلك ..

قلت وأنا أتأمل (ناهد) فى تمعن :
- « أعتقد - وأنتم توافقوننى - أن (نجلاء) لم
تمس بأذى حتى هذه اللحظة » .

قالت مؤيدة رابى :

- « هذا أكيد .. لا أشعر بأذى ألم .. »

- « هل هي خائفة ؟ »

- « لا .. وإن هذا لغريب ... »

ابتلعت ريقى وسألتها السؤال الأخير :

- « هل هي حية ؟ » .

★ ★ ★

الفصل العاشر : وهو مهم حقاً .. لكن لا يمكن فهمه دون قراءة ما سبق

ومن قال إن التطابق الشعورى بين توعمين ، يجب أن يكون مطلقاً ، ولا ينتهى فى لحظة بعينها ؟ من قال إنه يجب أن ينتهى بموت التوعمين فى لحظة واحدة ؟ إن انتهاء الترابط الشعورى بين الأختين - فى حالتنا هذه - قد يعنى موت واحدة منهما ..

يقول الإنجليز : إن عدم وجود أخبار هو خبر طيب .. أى إنه لا توجد أخبار سيئة على الأقل .. وهو قول آخر من تلك الأقوال الشهيرة التى تبدو للوهلة الأولى حكيمة ثم يتضح أنها ساذجة .. تحيل مثلاً انقطاع أخبار أخيك فى الحرب أو أبوك المسافرين .. أحياناً يكون انقطاع الأخبار خبراً سيئاً فى حد ذاته ..

★ ★ ★

وهكذا ظللنا جالسين فى صمت لا تنقصنا سوى

أقداح القهوة السادة ، وصوت المقرئ تنكون فى
سرادق عزاء ..

نهض (محمود) فى عصبية وراح يذرع الغرفة
جينة وذهابا ، ثم وقف وصاح :

- « إن هذا كله يحطم الأعصاب .. لو كانت
مخطوفة فليقولوا هذا ويخلصونا .. ولو كانت ميتة .. »
توقعت أن تلومه (ناهد) ، لكنها لم تفعل .. هى
فقط تكره الكلام عن موتها هى .. لهذا واصل الكلام ..
- « فليصلوا بنا لندفنها ! »

فى اللحظة التالية تراجع رأس (ناهد) لنوراء ..
أكاد أقسم أن شفيتها قد ازورقنا .. زراح صدرها
يعلو ويهبط ككباس قطار بخارى .. مدت يدها إلى
عنقها كأنما تطلب الهواء ، وراحت تحدث أصوات
شهيق وزفير متواصلة .. كانت فى حالة (انعدام
الحيلة) الشهيرة ..

وصاح (محمود) فى زعر وهو يحرق بعينه
الحوالوين فيها :

- « د . (رفعت) ! ماذا يحدث لها ؟ »

- « إنها .. تختنق ! »



مدت يدها إلى عنقها كأنها تطلب الهواء ، وراحت تحدث
أصوات شهيق وزفير متواصلة ..

- « ولماذا لا تفعل شيئاً ؟ »

- « لا يوجد سبب لهذا .. إن (ناهد) تعكس ما تمر به (نجلاء) الآن .. إن (نجلاء) فى مكان ما تواجه خطر الغرق ! »

- « يا للكارثة !! »

وجثا على ركبتيه جوارها ، وهو يتمنى أن يفعل شيئاً لكنه لم يجرف حتى على لمسها .. فقط راح ينظر لى طالباً العون ثم لها متوسلاً ..

أخيراً بدأت تسترد لونها الطبيعى ، وهذأت نوعاً .. واستطاعت أن تتحكم فى جلستها على الأريكة .. لقد نجت (نجلاء) .. هذا واضح ..

الآن وقد اطمأنتت إلى أن الصلة الشعورية لم تنقطع ، صرت أكثر اطمئناناً إلى أن (نجلاء) حية ترزق .. هى - فقط - تعانى ، ومعاناتها تتضمن الغرق على كل حال ..

- « ماذا تظنه يحدث للأخرى ؟ »

- « لا أدرى .. حقاً لا أدرى .. »

★ ★ ★

فى الرابعة صباحاً ، عدت إلى شقتى .. وكنت

أعرف ان النوم لن يجيء ، فهو كالحظ يجيء مرة واحدة فإن تجاهلته فيها لا يجيء ثانية .. وعلامات الشيخوخة التى حلت بى كان أولها ظاهرة (الاستيقاظ قبل الأوان) المميزة للشيخوخة .. بحثت فى مكتبتي عن رواية (الأخوان الكورسيكيان) لكاتب الأشهر (ألكسندر دوما) .. وكتبها عام ١٨٦٦ .

وكان صوت أذان الفجر الأول يتردد من بعيد . حين بحثت وسط الصفحات عن فقرة المبارزة .. ها هى ذى ..

(لوى) - انتوعم الأول - يقف فى ضاحية ب (باريس) ، ويده على زناد المسدس وأمامه خصم عتيق .. إنها مبارزة لرد الشرف من التى يزخر بها أدب (دوما) .. تنطلق الرصاصة الأولى لتستقر فى جسد (لوى) ..

فى اللحظة التالية يشعر (نوسيان) - التوعم الثانى - الذى يمتطى صهوة جواده فى (كورسيكا) بألم فظيع فى صدره فوق الضلع السادس ، ثم يخترق الألم صدره ليخرج من مفصل فخذه .. ذات مكان إصابة (لوى) ..

نقد كان (دوما) بحسب الفنان المرهف يصف
بالضبط ما نحن بصددده هنا ..

بعد هذا بأعوام عدة ، وبالتحديد فى عام ١٩٧٧
فى المؤتمر الثانى لدراسات التوانم فى (واشنجتون) ،
أعلن المؤتمر ما يلى :

- لو انقسمت، البويضة الملقحة خلال الأيام العشرة
الأولى من التلقيح فلا ينتظر أن يولد كل توعم بمشيمة
منفصلة .

- « لو حدث الانقسام بعد الأيام العشرة الأولى ،
يجيء توعمان متطابقان لهما ذات الشبه ، وكن
أحدهما صورة مرآة للآخر .. أحدهما أيمن والآخر
أشول .. أو اتجاه الشعر فى أحدهما لليمين والآخر
لليسار ..

- « لو حدث الانقسام بعد اليوم الثالث عشر
يجيء التوعم السيامى الرهيب ، حين يشترك
التوعمان فى قلب أو كبد أو صدر واحد .. والأمثلة
على هذا شهيرة ومعروفة فى كتب العجائب وكتب
الطب .

- « لو جاء التوعمان من بويضتين منفصلتين فن

يكون بينهما تشابه .. وهو ما يسمونه بـ (التوعم
غير المتماثل) أو Fraternot twins .



واحدة من كل تسعين ولادة تأتي بتوعمين .. وربع
هؤلاء التوائم يكونون متطابقين .. إن (نجلاء)
و (ناهد) جاءتا من بويضتين منفصلتين ، لهذا هما
توعمان غير متماثلين ، لكن من الواضح أنهما
احتفظتا بصلتهم الحيوية المتعلقة بالإحساس بالألم ..
إن دراسات الدكتور (لويس كيث) من كلية الطب
جامعة (نورث وسترن) بـ (إلينوى) لتعتمد اعتماداً
كبيراً على دراسات أستاذ آخر إيطالي هو (لويجي
جيدا) ، ولقد قام هذا الأخير بدراسة ١٥ ألف توعم
منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ، وقد توصل الاثنان في
النهاية إلى أن علاقات التوائم الذهنية تتباين في
مراتبها ..

في أدنى المراتب يأتي الدافع المشترك : حين
يرغب توعم في الاتصال بأخيه لمجرد أن أخاه يرغب
في نفس الشيء في الوقت ذاته .
في مرتبة أعلى يأتي التخاطر الذهني وتوارد

الخواطر .. إن التوعم يفكر فى ذات الأشياء التى يفكر فيها أخوه ..

أما أعلى المراتب - كما يقول (لويس كيث) - فهى الاشتراك فى الألم فى الموضع ذاته والوقت ذاته ..

هناك نظرية مهمة طرحها (لويجى جيداً) بعد دراساته المضنية على التوائم ، وهى نظرية (ساعة الحياة) .. أى الساعة الحيوية التى تتحكم فى أقدار التوائم .. إنهم يمرضون معاً ويتألمون معاً وكثيراً ما يموتون فى اللحظة ذاتها .. لم يكن لهذا تفسير واضح فى ذلك الوقت ، لكن الطب الحديث - طب التسعينات - عرف كثيراً جداً عن (الجينات) ، وعرف أننا نحمل مصانرنا وأمراضنا محددة مرسومة فى الصبغيات الموجودة بخلايانا ..

ولما كان التوعمان يشتركان فى الصبغيات ، كان من الطبيعى أن يشتركا فى المصانر والأمراض والساعات الحيوية ..

كنت غارقاً فى هذه الخواطر حين سمعت أذان الفجر .. سأصلى وأنام ، وعسى ألا .. ثم لا أنتزع

فيشة الهاتف أصلاً ؟ إن الأمر خطير لكنني أشعر
بحاجة أكثر خطراً للنوم ..

★ ★ ★

كما توقعت بالضبط ذهبت إلى الكلية لأجد (محمد
شاهين) ينتظرني ، وكان العرق يبيل صلعتة وعنقه ..
واضح أنه قضى أسوأ ليلة منذ ليلة زفافه ،
وهتف بمجرد أن رآني :

- « أين كنت يا أستاذ ؟ إن هاتفك هذا .. »

فشرحت له في صبر أنني كنت نائماً كجثة ، وكان
عليه أن يجيء لداري ليوسع الباب ركلاً لو كان
متحمساً إلى هذا الحد ..

- « لم أستطع المجيء لأن الساعة كانت الخامسة
صباحاً ، وليست عندي سيارة .. لقد بدأت الآلام ! »
.. « (ناهد) تتألم ! »

- « وبانتظام » - قال وعيناه تتسعان رعباً -
« .. لقد ذقت كل شيء من الدبابيس تحت الأظفار
إلى حروق السجائر في شحمة الأذن إلى الصفعات .. »
وارتجف هلعاً وأخرج منديله (المحلاوى) العملاق
الذي يصلح كفناً له ، فجفف العرق على عنقه وقال :

— « (رفعت) .. هناك من يعذب (نجلاء)
بمنتهى الوحشية فى هذه اللحظات .. »

جلست شاعرا بخطورة الموقف .. لم أدر ما أقول ..
لماذا لا يصدق هؤلاء الحمقى أننى لا أملك أدنى فكرة
عما ينبغى قوله أو عمله ؟

— « وفى رأيك من يفعل هذا ؟ »

— « لا أدرى .. »

وساد الصمت هنيهة . بعدها قلت فى شرود :
— « حاول خنقها بإغراقها فى الماء .. كان يمكنه
التمادى لكنه كان يهدف إلى التعذيب لا أكثر .. بعد
هذا استعمل أسلوب الدبابيس والحرق بالسجائر .. هل
لدى (نجلاء) من يكرهها لهذا الحد ؟ »
— « إنها كما رأيت .. لا تملك شراً ولا نجاحاً ..
فلا أعداء »

فكرت قليلاً .. لن أستبعد أن تكون الفتاة فى مكان
ما تتسلى بتعذيب نفسها عالمة أنها تؤذى أختها
باستمرار .. إن علاقة الأختين معقدة جداً وتحتمل
الكثير ..

★ ★ ★

وفى المساء ازداد الأمر سوءاً ..

كانت (ناهد) تصرخ باستمرار بلا كلل .. وراحت تجذب ساقها من تحت الملاءة فى اشمزاز ، كما تفعل المرأة حين ترى فأراً أو سحلية توشك على الجرى فوق جلدها .. كان أداء جيداً من (الباتومايم) ، وأدركت دوز جهد أن هذا ما تمر به (نجلاء) الآن .. سألتى الزوج الملهوف وهو يحتضنها مهدئاً ..
- « ماذا يحدث ؟ إنها لا تتحمل الملاءة على قدميها »

- « كما ترى .. أعتقد أن من يعذب (نجلاء) يستخدم الفئران الحية الآن ..
إنه لواسع الخيال حقاً .. »

بالطبع لم نتصور لحظة أن من يعذب (نجلاء) يفعل هذا ليعذب (ناهد) .. إن الأمر واضح لك لأنك تتابع هذا كله من مقعد علوى يستوعب ويشمل كل التفاصيل .. أشبه بمن يراقب تخطيط النملة فى متاهة تبحث عن فتحة الخروج منها ، أما نحن فقد كان الأمر مبهماً بالنسبة لنا ولم نر الأمور بهذا الوضوح قط .
قال لى (محمود) وهو يعتصر طفله الصارخ ليخرسه:

- « هل يمكننا استخدام هذا الشعور المشترك
بينهما فى العثور على الأخرى ؟ »
- « هذا ما أفكر فيه .. »
وجلس على طرف الفراش ، وانتظرت حتى هدأت
نوعاً ثم سألتها :

- « (ناهد) .. أغمضى عينيك وفكرى جيداً .. »
نظرت لى فى شك .. ثم فعلت كما قلت ..
- « هل تشعرين أو تشمين شيئاً ؟ هل تسمعين
شيئاً ؟ »

كان هذا ينجح فى القصص دائماً .. ستشم رائحة
ياسمين وتسمع صوت طائرة وصوت قطار .. وتسمع
قطرات ماء على النافذة .. عندها نستنتج أنها
- (نجلاء) - سجينة فى كوخ جوار حقل ياسمين
قرب مطار وقضيب سكك حديدية ، وبالطبع هناك
ماسورة مياه أو ميزاب جوار النافذة .. هذا ينجح
فى القصص لكنه لا ينجح فى الواقع أبداً .. فالفتاة
- ببساطة - لا تشعر ولا تسمع أو تشم شيئاً ..
- « لن يصلح هذا .. »

قالها د. (محمد) فى نكاء ، فنظرت له بغل ..
ليته لا يتحبنى باستنتاجاته العبقرية هذه لدقائق ..

قلت لها من جديد :

- « حاولى أن تركزى .. سنطفى النور ونغادر
الحجرة .. فكرى فى الكلمة التى تتردد الآن فى ذهن
(نجلاء) .. فكرى .. فكرى .. »

قلت هذا وأنا أجذب الرجلين خارجاً من الحجرة ببطء ..
وجلسنا من جديد على الأريكة التى كستها سجادة
الصلاة ، وكانت الأم قد أعدت لنا بعض الشاي
كالعادة .. أما الأب فكان فى الفراش يمارس كل مهام
الجنّة كدأبه منذ اختفت (نجلاء) ..
قال (محمود) :

- « لقد أبلغنا الشرطة هذا الصباح .. »
- « هذا جيد .. لكن لابد من خيط يبدعون منه »
ثم رحت أقلب أفكارى كما يقلب الفأس الأرض بعد
زراعة البطاطس .. طبقات أخرى لم تخطر لى ببال تظهر ..
من خطف (نجلاء) - وهى غالباً مخطوفة
- لا يريد موتها .. يريد عذابها .. لا توجد طريقة
عقلية ما للبحث عن (نجلاء) ..
وفجأة صحت فى حماسة حتى انسكب الشاي من
يدى على الأريكة كعادتى .
- « انتظر ! .. لدى فكرة .. فكرة عبقرية ! »

- « أهنتك .. » قال د. (محمد) .
ونهضت مسرعاً إلى الحجرة ، وأنا أردد :
« سنجد (نجلاء) .. وسنجدها بسهولة ! »
- « ولكن هلا شرحت لنا ما .. »
مددت يدي إلى المقبض لأفّتحه ، حين سمعت
صرخة (ناهد) تتردد في أرجاء الغرفة الموصدة :
- « صلاالح ! »

★ ★ ★

هنا أجدني مضطراً للتوقف لأن لساني قد أرهقه
السرد ، وضوء الفجر يتسلل من خصائص النافذة ..
أريد أن أنام ..
وماذا حدث بعدها ؟ بالطبع سأحكي ذلك
بالتفصيل .. المفروض أن نعرف في الجلسة القادمة
ما حدث للتوعمتين .. ونعرف كيف وجدت (نجلاء)
بفكرتي العبقرية .. ونعرف ما حدث لـ (صلاح)
هذا ..

انتظرنى فإني عائد كالعادة بتكملة هذ
القصة ، ما لم أمت طبعاً وهو احتمال وارد ..

لكنى أحسبكم ستتضايقون لموتى أكثر من ضيقكم
بقصة غير مكتملة .. ولسوف يشفع لى هذا
بعض الشيء » .
فإلى لقاء

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★

روايات مصرية الحبيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| 20 - حكايات التاروت . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 21 - أسطورة عدو الشمس . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 22 - أسطورة المينوتور . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 23 - أسطورة رعب المستنقعات . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 24 - أسطورة إيجور . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 25 - أسطورة الجنرال العائد . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 26 - أسطورة المواجهه . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 27 - أسطورتنا . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 28 - أسطورة آخر الليل . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 29 - أسطورة الجاثوم . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 31 - أسطورتها . | 12 - أسطورة البيت . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 13 - أسطورة الذهب الأزرق . |
| 33 - أسطورة أرض المغول . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 15 - أسطورة النباتات . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 16 - أسطورة النافاراي . |
| 36 - أسطورة الفصيلية السادسة . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 37 - أسطورة الدُمية . | 18 - أسطورة الغرياء . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 19 - أسطورة بو . |

روايات عالمية للجيب

◉ صدر من هذه السلسلة ◉

- | | | | |
|----|--------------------------|----|------------------------|
| 1 | فلاش جوردن . | 16 | الفرفة الحمراء . |
| 2 | كنوز الملك سليمان . | 17 | وادي العناكب . |
| 3 | دكتورنو . | 18 | صورة دوريان جراي . |
| 4 | حرب النجوم . | 19 | العالم المفقود . |
| 5 | الفك المفقود . | 20 | صانع الأمطار . |
| 6 | فوق مستوى الشبهات . | 21 | الفيلة وليلة الجديدة . |
| 7 | رحلة إلى مركز الأرض . | 22 | سباق الموت . |
| 8 | الغيبوبة . | 23 | كونفوشيوس . |
| 9 | الشیطانة . | 24 | كلب آل باسكرفيل . |
| 10 | لقاءات من النوع الثالث . | 25 | مدينة مثل أليس . |
| 11 | وجاء العنكبوت . | 26 | الحزاز . |
| 12 | قبضة الشيطان الذهبية . | 27 | مطار (٧٧) . |
| 13 | نداء الأعماق . | 28 | النطاق المسموم . |
| 14 | القتل دون مقدم أعقاب . | 29 | الجوزيرة . |
| 15 | سلالة أندروميديا | | |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

85	- لسة الشر.	43	- الخاطر.	1	- الاختفاء القامض.
86	- الثعلب.	44	- العين الثالثة.	2	- سباق الموت.
87	- خط البواجه.	45	- القصبان الجليدية.	3	- قناع الخطر.
88	- سفير الخطر.	46	- لهيب الثلج.	4	- صائد الجواسيس.
89	- قبضة السفاح.	47	- الرصاصة الذهبية.	5	- الجليد الدامي.
90	- الهدف.	48	- شيطان المافيا.	6	- قتال الذئاب.
91	- الوجه الرضى.	49	- الضربة القاضية.	7	- بريق الماس.
92	- الخطر.	50	- مهمة خاصة.	8	- غريم الشيطان.
93	- أرض العدو.	51	- سم الكوبرا.	9	- أنياب الثعبان.
94	- كتيبة الدمار.	52	- جبال الموت.	10	- المال الملعون.
95	- الصراع الوحشي.	53	- ذئاب ودماء.	11	- المؤامرة الخفية.
96	- المعركة الفاصلة.	54	- رحلة الهلاك.	12	- حلفاء الشر.
97	- العصق الأعمى.	55	- أفعى برشونة.	13	- أرض الأهوال.
98	- القناص.	56	- الفهد الأبيض.	14	- عملية مونت كارلو.
99	- مذاق الدم.	57	- عملية الأدغال.	15	- إمبراطورية السم.
100	- الضربة القاصمة.	58	- أعدام بطل.	16	- الخدعة الأخيرة.
101	- انقلاب.	59	- انتقام شبح.	17	- انتقام العقرب.
102	- نهر الدم.	60	- دونا كارولينا.	18	- قاهر العمالة ج ١.
103	- الاحترق.	61	- ملائكة الجحيم.	19	- أبواب الجحيم ج ٢.
104	- الإعصار الأحمر.	62	- ملك العصابات.	20	- مخلب الثلوج.
105	- عقارب الساعة.	63	- الجاسوس.	21	- مضيق النيران.
106	- الأفعى.	64	- تحت الصفر.	22	- أصابع الدمار.
107	- اتحاد القتل.	65	- الجليد ش.	23	- فارس اللؤلؤ.
108	- الفخ.	66	- ألف وجه.	24	- الضباب القاتل.
109	- قبضة الشر.	67	- الجحيم المزدوج.	25	- الخنجر الفضى.
110	- اغتيال.	68	- قلعة الصقور.	26	- آخر الجبابرة.
111	- معبد الجريمة.	69	- أجنحة الانتقام.	27	- الجوهرة السوداء.
112	- الفريق الأسود.	70	- أباطرة الشر.	28	- قلب العاصفة.
113	- رياح الخطر.	71	- ضد القانون.	29	- الصراع الشيطاني.
114	- ممر الجحيم.	72	- شريعة الغاب.	30	- الرمال المحرقة.
115	- بلا رحمة.	73	- المعتقل الرهيب.	31	- الخطوة الأولى.
116	- مهرجان الموت.	74	- الدائرة الجهنمية.	32	- خيوط اللهب.
117	- عمالقة الجبال.	75	- أسوار الجحيم.	33	- القوة (أ).
118	- الأربعة الكبار.	76	- النهر الأسود.	34	- مارد الغضب.
119	- فوق القمة.	77	- عمالقة مارسيليا.	35	- قراصنة الجو.
120	- السنيورا.	78	- صحراء الدم ج ١.	36	- ذئب الأحراش.
121	- وجه الأفعى.	79	- صفقة الموت ج ٢.	37	- مخلب الشيطان.
122	- الأصابع الذهبية.	80	- وكر الإرهاب ج ٣.	38	- لعبة الاحترفين.
123	- المستحيل.	81	- الرجل الآخر ج ١.	39	- أعماق الخطر.
124	- اللمسة الأخيرة.	82	- الأخطبوط.	40	- مهنتي القتل.
125	- عملية النيل.	83	- معركة القمة.	41	- الانتحاريون.
126	- ساعة الصفر.	84	- جزيرة الجحيم.	42	- الهدف القاتل.

ملف المستقبل

سرى جداً

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-------------------------|---------------------------|---------------------------|
| 85 - الأمل الفيروزي . | 43 - ثقب في التاريخ . | 1 - أشعة الموت . |
| 86 - الإمبراطور . | 44 - الخارقون . | 2 - اختفاء صاروخ . |
| 87 - نصف آلي . | 45 - السحاب الأحمر . | 3 - مدينة الأعماق . |
| 88 - الانفجار الحي . | 46 - الكوكب الملعون . | 4 - غزاة الفضاء . |
| 89 - البركان . | 47 - المقاتل الأخير . | 5 - القنبلة القامضة . |
| 90 - رعب في الأعماق . | 48 - سجن القمر . | 6 - زائر من المستقبل . |
| 91 - ضد الزمن . | 49 - غزو الأرض . | 7 - جنون طائفة . |
| 92 - الرحلة الرهيبة . | 50 - الأسطورة . | 8 - الأرتجاج القتال . |
| 93 - نقطة الصفر . | 51 - الخلية القاتلة ج ١ . | 9 - صراع الحواس . |
| 94 - الساحر . | 52 - العدو الخفي ج ٢ . | 10 - الفارس المجهول . |
| 95 - القوة السوداء . | 53 - أمطار الموت . | 11 - منطقة الرعب . |
| 96 - بذور الشر . | 54 - عبر العصور ج ١ . | 12 - طريق الأشباح . |
| 97 - لهاب الكواكب . | 55 - أسرى الزمن ج ٢ . | 13 - الزمن المفقود . |
| 98 - نيران الكون . | 56 - شيطان الأجيال ج ٣ . | 14 - نداء النجوم . |
| 99 - الانفجار . | 57 - منطقة الضياع . | 15 - مثلث الغموض . |
| 100 - الزمن = صفر . | 58 - معركة الكواكب ج ١ . | 16 - الوباء الجهنمي . |
| 101 - الحرياء . | 59 - جحيم أرغوان ج ٢ . | 17 - نبض الخلود . |
| 102 - التوهم الرهيب . | 60 - أرض العمالة . | 18 - ظلال الفزع . |
| 103 - الأرض المفقودة . | 61 - الكابوس . | 19 - صيون الهلاك . |
| 104 - أنياب ومخالب . | 62 - سادة الأعماق ج ١ . | 20 - العقول المعدنية . |
| 105 - وجوه من تلج . | 63 - المحيط المتهب ج ٢ . | 21 - أطراف الماضي . |
| 106 - بلا أثر . | 64 - السيف البلوري ج ١ . | 22 - ليلة الربيع . |
| 107 - لعنة الدم . | 65 - أبواب الموت ج ٢ . | 23 - بصمات السحرة . |
| 108 - مصيدة الفضاء . | 66 - الشمس الزرقاء . | 24 - الضوء الأسود . |
| 109 - الدوامة . | 67 - شيطان الفضاء . | 25 - صحوة الشر . |
| 110 - الضجوة السوداء . | 68 - عقول الشر . | 26 - لعنة الفضاء . |
| 111 - كوكب الطفافة . | 69 - العالم الآخر . | 27 - الفخ الزجاجي . |
| 112 - بصمة الموت . | 70 - الستار الأسود . | 28 - النهر المقدس . |
| 113 - حرب الفيروسات . | 71 - أمير الظلام . | 29 - الإيقاع المفترس . |
| 114 - الرعب . | 72 - ابن الشيطان ج ١ . | 30 - النار الباردة . |
| 115 - العدو الخارق . | 73 - مبعوث الجحيم ج ٢ . | 31 - رنين الصمت . |
| 116 - العاصفة النووية . | 74 - الصراع الجهنمي ج ٣ . | 32 - الألق الأخضر . |
| 117 - فارس الزمن . | 75 - الجولة الأخيرة ج ٤ . | 33 - حارس الأرواح . |
| 118 - ألف عصر . | 76 - الاحتلال ج ١ . | 34 - وحش المحيط . |
| 119 - زمن الدم . | 77 - المقاومة ج ٢ . | 35 - مرآة القدر . |
| 120 - الفارس الثاني . | 78 - الصراع ج ٣ . | 36 - الموت الأزرق ج ١ . |
| 121 - المجهول . | 79 - التحدي ج ٤ . | 37 - السماء المظلمة ج ٢ . |
| 122 - الظلال الرهيبة . | 80 - النصر ج ٥ . | 38 - من وراء النجوم ج ٣ . |
| 123 - دائرة الظل . | 81 - رمز القوة . | 39 - التلويح الساخنة . |
| 124 - الغزاة . | 82 - حصن الأشرار . | 40 - علامات الخوف . |
| 125 - كرة النار . | 83 - أرض العدم . | 41 - مملكة النار . |
| 126 - لهاب الربيع . | 84 - كنز الفضاء . | 42 - الأرض الثانية . |

روايات مصرية الجيب

بقاقة من القصص والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

مكتبة

- | | |
|------------------------|---------------------|
| 15 - التجربة الرهيبة . | 1 - النبوءة . |
| 16 - المهمة . | 2 - سيف العدالة . |
| 17 - الشئ . | 3 - البديل . |
| 18 - البعد الخامس . | 4 - بدوية . |
| 19 - ضيف النجوم . | 5 - لعنة البحر . |
| 20 - البعث . | 6 - المندوب . |
| 21 - صانع اللعب . | 7 - سر القصر . |
| 22 - الكوكب العاشر . | 8 - تحقيق . |
| 23 - آلة الزمن . | 9 - الزائر الغامض . |
| 24 - اللغز . | 10 - الفارس . |
| 25 - أوراق بطل . | 11 - ثمن الصداقة . |
| 26 - الملحمة . | 12 - العنقاء . |
| 27 - الوريث . | 13 - جزيرة القدر . |
| | 14 - نداء الأعماق . |

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| 1 - قصة لا تنتهى . | 9 - الخناقون . |
| 2 - حكايات من والاشيا . | 10 - الاسم شكسبير . |
| 3 - صفر... صفر... سبعة . | 11 - نداء الادغال . |
| 4 - إمبراطورية النجوم . | 12 - بين عالمين . |
| 5 - ذات مرة فى الغرب . | 13 - رجل من كريبتون . |
| 6 - خيول ورماح . | 14 - من بعد سوبرمان . |
| 7 - ألعاب إغريقية . | 15 - إعدام فى البرج . |
| 8 - مملكة الموتى . | 16 - شبح وشيطان . |

رقم الإيداع: ١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

١٠٠٨ شارع ١٧ للنظه الصناعيه بالمباسيه

القاهرة - ٢٨٢٧٩٢ ٢٨ - ٢٨٣٥٥٥٤